www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دراسات في الإعجاز الغائب

د. محمد رفعت زنجير

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دراسات في الإعجاز الخالد

بقلم
د. محمد رفعت أحمد زنجير

نشر في دار اقرأ، دمشق 2010م
الاقتباس مسموح شرط الإشارة إلى المصدر الألوكة حصريا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المقدمـــــــة

بســـــــم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي الأعلى العلام، والصلاة والسلام على النبي محمد بدر التمام، وعلى آله الأطهار الكرام، وصحبه الغر الميامين العظام، وعلى من دعا بدعوته إلى يوم الشدة والزحام، يوم يقوم الناس لرب العالمين!.

وبعد: فإن من أشرف ما شغلني الله به في سنين غربتي الأخيرة، هو: خدمة الكتاب والسنة، وذلك بخدمة علومهما، وبخاصة علم الإعجاز المتعلق بالكتاب العزيز، وعلم الأسلوب المتعلق ببيان سيدي الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.
وأحمد الله أنني قدمت بعض الصوى في هذا الميدان، وأسأله القبول والرضا، وأن يعفو عني يوم النشور.

ومضاء على طريق خدمة الإعجاز... كنت قد نشرت مقالات متفرقة عدة حول هذا الموضوع، رأيت أن أجمع بعضها بين دفتي هذا الكتاب الموسوم بـ: (**دراسات في الإعجاز الخالد**)، وكان غرضي من ذلك الجمع تسهيل وصول الباحثين والقراء الأعزاء إلى هذه المقالات، لعلهم يجدون فيها ما ينفعهم، راجياً ممن يصله كتابي أن يدعو لي، لعل دعوة تسعدني يوم الخلود، وقد قمت بتنقيح المقالات والإضافة عليها بحيث يبدو الكتاب كنسيج واحد، هو يتضمن المباحث الآتية:

المبحث الأول: الإعجاز الحضاري في القرآن الكريم
المبحث الثاني:نظرية العكس في إثبات الإعجاز
المبحث الثالث: من خصائص البلد الأمين، معجزة المكان مكملة لمعجزة الزمان والرسالة والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .
المبحث الرابع:المجرات تشهد بعظمة الخالق، صور من الإعجاز العلمـــــي
المبحث الخامس:كروية الأرض حقيقة علمية أشار إليها القرآن الكريم، وأكدها العلماء المسلمون في بحوثهم الجغرافية
المبحث السادس: ضوابط هامة في دراسة إعجاز القرآن الكريم
ثم ذيلت الكتاب بقائمة المصادر والمراجع

أسأل الله تعالى أن يوفقنا للمزيد من طاعته، وخدمة دينه وكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأن يسدد خطانا لما يحب ويرضا، فإن خير ما نقضي به الأعمار هو ذكر الله والتفكر في كتاب الله عز وجل.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأسأل الله أيضاً أن يوفق كل باحث مؤمن لخدمة دينه وكتابه وأمة رسوله وخلقه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول:

الإعجاز الحضاري في القرآن الكريم

هذا الوجه من الإعجاز قد يكون هو الإعجاز الأعظم للقرآن الكريم[1]، فلا نعلم كتابا صنع حضارة فوق الصحراء، امتدت إلى شتى أرجاء العالم، وأوجد أمة من عدم، غير القرآن الكريم، ويتجلى الإعجاز الحضاري في ما يلي:

أولاً: الإعجاز في صناعة النبي الذي كان خلقه القرآن
ثانياً: الإعجاز في صناعة الإنسان.
ثالثاً: الإعجاز في صناعة أمة .
رابعاً: الإعجاز في النظم الإسلامية.
خامساً: الإعجاز في فهم تجارب الأمم وحضاراتها
سادساً: الإعجاز في إدراك سنن التاريخ وحركة الحياة
سابعاً: قيم الحضارة الإسلامية
وسندرس هذه الموضوعات بإيجاز يتناسب مع حجم البحث.

أولا: الإعجاز في صناعة النبي الذي كان خلقه القرآن

كان النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل النبوة فردا من قومه، تميز عنهم بالصدق والأمانة ومكارم الأخلاق، ولكن في معظم أحواله كان بشرا مثلهم، ليس معه شيء من هذا القرآن، قال تعالى: (قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ) (يونس:16).

فلما أنزل الله الوحي على نبيه أنشأه خلقا آخر، فإذا به عالم بالتوحيد والدين والخير والشر والدنيا والآخرة، قال تعالى: (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)(النساء: من الآية113). وقال أيضا:

---

[1] ـ نشر هذا البحث في مجلة العربية التي تصدر عن جمعية حماية اللغة العربية، الشارقة، العددان 23و 24، نوفمبروديسمبر 2007م

.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الشورى:52).

لقد تحول النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين عشية وضحاها إلى إنسان آخر، إنسان متميز يحمل الخير لأهله وقومه والناس أجمعين، ولما كان الداعية إلى الله يجب أن يسع الناس بأخلاقه، أوتي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ محاسن الأخلاق، قال تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم:4). وعندما سئلت عائشة عن خلق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالت: (كان خلقُه القرآن)[2]

وما كان لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يكون معلما ومربيا وقائدا وسيدا في الأرض والسماء لولا النبوة!

لقد تحول النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد الرسالة إلى:

1- شاهد
2- مبشر
3- نذير
4- داع إلى الله
5- سراج منير، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً، وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً) (الأحزاب:45-46)
6- شهيد، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً)(البقرة: من الآية143).
7- وصارت طاعته طاعة لله، قال تعالى: (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً) (النساء:80).
8- ووجب الإيمان به وتوقيره ونصرته، قال تعالى: (لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) (الفتح:9).

وخصائص النبي التي تحدث عنها القرآن كثيرة، قدمنا طرفا منها، وما كان لرجل أن يتحول إلى معلم للناس ومرشد لهم في بيئة لا تملك من مقومات العلوم والتكنولوجيا شيئا لولا أن معجزة حصلت، فإذا كان موسى قد صنع على عين الله، قال تعالى: (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)(طـه: من الآية39)، فإن محمدا صنع على عينه أيضا سبحانه، وبمعجزة هذا القرآن الذي حوله إلى سيد الأولين والآخرين ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

ثانيا: الإعجاز في صناعة الإنسان

[2] ـ رواه مسلم وأحمد وأبو داود، انظر: الجامع الصغير، للسيوطي، (1270/5)، نشر دار الفكر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لم تكن معجزة القرآن ذات أثر في النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحده وحسب، وإنما كان أثرها في الإنسان حيث كان!، لقد أحيا الله بهذا الدين إنسانية الإنسان، قال تعالى: (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأنعام:122).

كان الإنسان قبل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذرة تائهة يعيش على الأرض، فمرة يعبد مظاهر الطبيعة من حجر وشجر وشمس ونار وغير ذلك، ومرة لا يعبد شيئا، فالعلاقة الرأسية مع الله منقطعة.

ويعيش بعقلية الغابة، فهذا حكيم العرب زهير، يقول[3]:

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

أنانية بغيضة، وكره للآخر، قال عمرو بن كلثوم[4]:

وأنا الشاربون الماء صفوا
ويشـــرب غيرنا كدراً وطينا

فالعلاقة الأفقية مع الناس منقطعة أو متكسرة.

وأما علاقته بنفسه، فكان محورها عشق اللذات الرخيصة، يجسدها قول طرفة[5]:

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى
وجدك لم أحفلْ متى قام عُوَّدي
فمنهنَّ سبق العاذلات بشربةٍ
كميتٍ متى ما تُعل بالماء تُزبد
وكري إذا نادى المضافُ مُحنبا
كسيدِ الغضى نبهته المتـــورِّد
وتقصيرُ يوم الدَّجنِ والدجنُ معجبٌ
ببهكنةٍ تحـــت الطراف المعمدِ

---

[3]- شرح القصائد العشر، للتبريزي، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ص (196)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الرابعة، 1400هـ/1980م.

[4]- شرح القصائد العشر، للتبريزي، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ص (360).

[5]- شرح القصائد العشر، للتبريزي، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ص (133-135).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولكن الإنسان بعد القرآن صار شيئا آخر، فقد صار يعرف ربه، والناس، ونفسه، فأما ربه فهو رب كريم سيلاقيه، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ) (الانشقاق:6).
وأما الناس فإخوانه في الجنس والإنسانية، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات:13).

وأما نفسه، فقد بدأ معها رحلة التخلية والتزكية، لينال دار الخلود، قال تعالى: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) (النازعات:40-41).
هكذا ولد الإنسان من جديد، ليعانق النداء الإلهي الذي يدعوه لما فيه خيره وسعادته من غير قهر ولا إجبار، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً) (النساء:170)

ولد الإنسان الذي كان بالأمس يئد البنات، ليعلم أن المرأة شريكة له في صناعة الحياة، قال تعالى: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) (الأحزاب:35)
هكذا تغير كل شيء في كينونة الإنسان بعد القرآن، فكأنه قد ولد من جديد، حيث راح يحمل قيم الإيمان والسمو والخير والمحبة للآخرين، أليست هذه أكبر معجزة تربوية في صناعة الإنسان المتحضر الإيجابي ـ والذي يستحق نعت الإنسان ـ عبر التاريخ كله؟!
ومن تأمل حياة الصحابة والتابعين، والسلف على وجه العموم، وجد نماذج إنسانية تستحق أن تنعت بوصف الملائكة، ولسنا هنا بصدد سردها، فذلك منثور في كتب الراجم والسير.

ثالثا: الإعجاز في صناعة أمة (ميلاد أمة) كان نواتها جيل الصحابة.

جاء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أمة بسيطة، كان معظمها من الحفاة العراة الأجلاف، يعانون شظف العيش، ويكابدون الأهوال في حياتهم الاجتماعية.
وأما حياتهم الدينية فكانت مزيجا من الوثنية والديانات الأخرى.
وأما حياتهم السياسية، فلم تكن لهم دولة ولا جيش وإنما هم ثلة من القبائل المتناحرة، يلفها الجهل ويغشاها الظلام، **وقد صورت كثير من الآيات حالة العرب في الجاهلية، فهم:**

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أ- أميون على ضلال، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (الجمعة:2).

ب-وهم أعداء متناحرون على وشك الهلاك، قال تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (آل عمران:103).

ت-وهم مجتمع ذكوري يكره الإناث، قال تعالى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ) (النحل:58).

ث- وهم أهل خصام وجدل وعناد، قال تعالى: (وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) (الزخرف:58).

ج- وهم يرفضون الحق، قال تعالى: (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (لأنفال:32).

ح- وهم أمة كلاسيكية درجت على تقليد الآباء والأجداد، قال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ) (البقرة:170).

خ- وهم مجتمع طبقي، يحتقر العبيد والطبقات الدنيا في المجتمع، وقد عرضوا على النبي مشروع الإيمان مقابل أن يطرد بعض أصحابه من العبيد والمستضعفين في الأرض، قال تعالى: (وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) (الأنعام:52).

<u>ولكن مع هذه الصفات السلبية، كانت هناك بعض القيم الإيجابية في المجتمع، من صدق الوعد، وحفظ الجوار، وإكرام الضيف ونحو ذلك.</u>

فلما جاء القرآن، أعاد بناء الأمة ممثلة بجيل الصحابة رضي الله عنهم، فثبت ما كان سائدا من قيم إيجابية، وهدم القيم السلبية، أو صححها، وأقام على أنقاض هذا المجتمع الجاهلي كله خير أمة أخرجت للناس!.

أمة شعارها التوحيد، ومنهجها العدل، يتساوى فيها الناس جميعا أمام دين الله تعالى.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أمة قامت على ضعف إمكاناتها المادية فنشرت نور الله في مشارق الأرض ومغاربها، وأطاحت بظلم كسرى وطغيان قيصر.
أمة كان رجالها رهبانا في الليل فرسانا في النهار!
أمة نعتها الله بقوله: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (آل عمران:110)
أليست هذه معجزة كبرى للقرآن الكريم؟! وهل ثمة كتاب عبر التاريخ كله صنع مثل هذا؟

<u>وحتى نعرف فضل القرآن على هذه الأمة، تعالوا نوازنها بغيرها، من خلال موقفين:</u>

الموقف الأول: في حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ، في غزوة بدر، حين استشار أصحابه في القتال، فكان للمقداد بن عمرو الكندي موقف سطره التاريخ، قال عبد الله بن مسعود: "لقد شهدت من المقداد مشهدا، لأن أكون أنا صاحبه أحبَّ إلي مما عدل به، أتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يدعو على المشركين، فقال: والله يا رسول الله! لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: {اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون} ولكنا نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك. فرأيت وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشرق لذلك، وسره ذلك"[6].
فلله قوم يبايعون نبيهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الجهاد والشهادة، وينصرونه ساعة العسرة، ويسطرون ملاحم المجد والخلود غير عابئين بهذه الحياة القليلة الفانية.

الموقف الثاني: بعد وفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقارنا بموقف بني إسرائيل في حياة موسى عليه السلام، فهؤلاء قوم موسى عليه السلام، يشاهدون معجزاته، ويغرق طاغية العصور فرعون أمام أعينهم، يتركهم رسولهم ليناجي ربه، ويترك فيهم أخاه هارون النبي الرسول قائدا لهم في غيابه، فماذا حصل؟ لقد انحرفت جمهرتهم لعبادة الأوثان مرة أخرى، وكادوا أن يقتلوا هارون، ولم تنفعهم كل المعجزات الحية التي رأوها بأم أعينهم، وذلك حين اتخذوا العجل معبودا لهم من دون الله، قال تعالى: (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ) (الأعراف:148).
أما أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فحين مات نبيها، وقف أبو بكر يقولها مدوية: "أيها الناس! من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي

[6] ـ مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني، (503/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لا يموت. قال: ثم تلا هذه الآية: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران:144). قال: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذٍ"[7]

فالاتباع للمنهج وليس لشخص الرسول، وشتان شتان بين من يتبع شخصا يكفر إذا غُيِّبَ عنه هذا الشخص، وبين من يتبع دعوة لا ينكص عنها حتى يموت!

من هذين الموقفين، ومن آلاف المواقف الأخرى التي لا نستطيع استعراض بعضها الآن، ندرك أن القرآن المعجز صنع أمة المعجزات، ولولا هذه الأمة لما وصل العالم اليوم إلى ما وصل إليه من تقدم علمي ومعرفي وتكنولوجي، فبفضلها قامت حضارة العصر الحديث، أليست هذه أم المعجزات التي صنعها القرآن الكريم؟!

رابعا: الإعجاز في النظم الإسلامية: الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

الإسلام دين كامل، قال تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينا)(المائدة: من الآية3)

وقد شملت تعاليمه جانبي الدين والدنيا، فمن قضايا الإيمان، إلى مسائل العبادات، فالعادات، فالمعاملات، كل ذلك تحدث عنه الدين الحنيف.

وقد صنف علماء السلف مسائل الدين والدنيا حسب الموضوعات، وكان للمحدثين تصنيف يختلف عن تصنيف الفقهاء، فعادة تبدأ كتب الحديث بكتاب الإيمان أو العلم أو بدء الوحي، وأما كتب الفقه فتبدأ بأحكام الطهارة لأنها مفتاح الصلاة.

في القرن الخامس جاء الإمام الغزالي فجعل كتابه الإحياء أربعة أقسام، وزعها على العبادات والعادات والمهلكات، والمنجيات.

وهكذا اختلفت مناهج التأليف، من حيث الشكل والموضوع، كما اختلفت منهجية الفهم والتعامل مع النصوص، فنظرة المعتزلي للنص أحيانا تختلف عن نظرة السني، وأدى هذا إلى إثراء المعرفة الإسلامية، فكثرة التأليف والاجتهادات والآراء هي من مظاهر الثراء الفكر ي والنشاط العلمي على العموم.

أما في العصر الحديث، فكان هنالك من سار على مناهج القدماء، ووجد من سار بإطار مختلف، فبدأت دراسة الإسلام على أنه رسالة حياة، فيها جوانب روحية وتعبدية واجتماعية واقتصادية وسياسية ورياضية وصحية، وغير ذلك...

---

[7] - السيرة النبوية لابن هشام، قدم لها طه عبد الرءوف سعد، (260/4)، دار الفكر، بيروت، 1409هـ/ 1989م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأيا كانت المناهج المتبعة، فمن المؤكد أن القرآن غطى جميع جوانب الحياة على وجه العموم، وغطته السنة، على وجه التفصيل، وما استجد مما ليس فيهما يقاس على نظيره، فالمخدرات تقاس على الخمر مثلا في الحرمة، لعدم وجود نص يحرمها أصلا، إذ لم تكن معروفة في مجتمع مكة أو المدينة، وما لايوجد له قياس يستنبط حكمه بالنظر إلى مقاصد الشريعة ومصالح الناس... وهكذا نجد أنه ليس ثمة شيء من أمور الدين والدنيا إلا ونص عليه الدين الحنيف.

وليست مزية التشريع الإسلامي في شموله ومرونته التي سببت توافقه مع مختلف البيئات والأزمنة وحسب، بل يضاف إلى ذلك ملائمة الفطرة، فليس ثمة شيء في الشريعة يجافي المنطق والعقل، أو يؤذي النفس والضمير.

ومزية أخرى هي التوازن بين شئون الفرد والجماعة، والحرب والسلام، انظر إلى صلاة الحرب مثلا، كيف نظمها قوله تعالى: (وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذىً مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً) (النساء:102) ، فلا تسقط الصلاة في الحرب التي تتطاير بها الرؤوس، كما أن الحرب لا تسقط بسبب الصلاة، , فقد قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ "يوم بني قريظة حين جهز إليهم الجيش:(لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة), فأدركتهم الصلاة في أثناء الطريق, فقال منهم قائلون: لم يرد منا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا تعجيل المسير, ولم يرد منا تأخير الصلاة عن وقتها, فصلوا الصلاة لوقتها في الطريق, وأخر آخرون منهم صلاة العصر فصلوها في بني قريظة بعد الغروب, ولم يعنف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحداً من الفريقين"[8]

لقد تكلم القرآن عن الوضوء والصلاة والخشوع والزكاة ومصارفها والميراث والشورى والعدل والظلم، ولم يترك صغيرة ولا كبيرة من أمهات المسائل إلا وعالجها ضمن آياته، مباشرة أو بشكل ضمني، فمن أين لكتاب جمع نظم الحياة كلها بكافة جوانبها الدينية والدنيوية لو لم يكن من عند الله؟!

ثم إن هذه النظم والمناهج هي مجلبة الخير للإنسان في الدنيا والآخرة، والتاريخ خير شاهد على هذا، فكلما اقتربت البشرية من هذا الكتاب كلما اقتربت من الرحمة والبر والتواصل، وكلما تباعدت عنه كلما ازدادت طغيانا وكفرا، وما كان لهذا الكتاب أن

[8] ـ مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني، (431/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يجمع جميع جوانب التشريع التي تحقق السعادة للإنسان إلا لأنه من لدن الذي يعلم السر وأخفى، إذ لم يتحقق لكتاب قبل القرآن ولا بعده أن يفعل معشار ما فعله هذا الكتاب التشريعي العظيم: القرآن الكريم.

وليست دراسة التشريع الإسلامي وما فيه من إعجاز وإنجاز ممكنة في هذا الموضع، وإنما هذه لفتة دالة، والتفصيل يحتاج مجلدات، وقد كتب كثيرون عن عظمة هذا التشريع، ومن افضل ما كتب في هذا الصدد: التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي، والله المستعان.

خامسا: الإعجاز في فهم تجارب الأمم وحضاراتها

في القرآن الكريم حديث عن أسباب صعود الأمم وتسنمها قمة المجد، وحديث آخر عن أسباب تراجعها وتقهقرها، وقد تحدث القرآن عن هذه الأسباب من خلال عرضه لأحوال الأمم السابقة من العرب البائدة كعاد وثمود، أو من خلال تجارب أهل الكتاب مع أنبيائهم، أو من خلال تصحيح واقع المجتمع العربي في الجاهلية، والسير به نحو الإسلام، أو من خلال تجارب الأمم المعاصرة للمسلمين إبان البعثة المحمدية.

والحديث عن تجارب الأمم والشعوب، وصعود الحضارات أو اندثارها، وتحليل أسباب ذلك بدقة فائقة، أمر يحتاج إلى معاهد وجامعات ودارسين ومتخصصين، وذلك من أجل أن يعطونا نتائج دقيقة يمكن تحليلها والاعتماد عليها في وضع الخطط المستقبلية.

فكيف يمكن لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو فرد من قومه، أن يقدم تفسيرا دقيقا لسير الحضارات وتجارب الأمم، وأسباب تقدم الإنسانية وتخلفها، يقدم هذا كله وهو الذي لم يقرأ ولم يكتب ولم يعلمه أحد من البشر؟!

ويمكن تحديد أهم معالم هذا الموضوع في الأمور الآتية:

أ ـ **التفسير العلمي لأسباب صعود الأمم والحضارات واندثارها،** وذلك من خلال تجربة قوم سبأ، وعاد وثمود وفراعنة مصر وغيرهم.

ب ـ تحدث القرآن عن عوامل البقاء والنصر والتمكين في الأرض، وأساس التمكين هو توحيد الله، لأنه يهب الإنسانية التفسير القويم للحياة وحركتهم فيها، ويهبهم القوة النفسية الخارقة في مواجهة أحداثها، وعمارة الأرض وفق منهج الله فيها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ت ـ تحدث عن عوامل الفناء وذهاب الأمم والممالك، ويكون بأسباب عدة، في مقدمتها سبب الشرك الذي هو فوضى نفسية وفكرية داخل الإنسان تتحول إلى فوضى اجتماعية في سلوكه، تنذر بالزلزال الحضاري والدمار الاجتماعي.

ث ـ العدل هو أساس الملك والبقاء، قال تعالى: (وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا) (سورة الكهف: الآية59).

ج ـ أشار إلى المناهج السوية في الحكم، كمنهج ذي القرنين، والنبي سليمان عليه السلام، والمنهج النبوي الكريم، قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (سورة الأحزاب: الآية21).

ح ـ أشار إلى المناهج المنحرفة المستبدة كالمنهج الفرعوني، ودعا الحكام إلى أخذ العبرة والعظة من مصير الطغاة السابقين الذي قصمهم الله عز وجل بقدرته، قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ، وَثَمُودَ، الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ، وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ، الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ، إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) (سورة الفجر: الآيات6-14).

خ ـ طلب من المسلمين أن يتعظوا بتجارب الأمم والشعوب، فيكونوا دائما خير أمة، ويحافظوا على البقاء في القمة بلا تغيير ولا تبديل، لكي لا يصيبهم ما أصاب غيرهم (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (سورة الحشر: الآية19). وصار لسان حال المسلمين يقول:

ملكنا فكان العدل منا سجية
فلما ملكتم سال بالدم أبطح

تلك هي أهم ملامح الإعجاز في فهم تجارب الأمم وحضاراتها، والتفصيل يحتاج إلى دراسات مستفيضة.

سادساً: الإعجاز في إدراك سنن التاريخ وحركة الحياة

ليس التاريخ صراعا على البقاء كما يقول الماديون، ولا صراعا على لقمة العيش كما ظن ماركس، ولا هو صراع بين الشيء ونقيضه كما ظن هيجل، ولا هو صراع حضارات أو وفاقها، ولكنه صراع بين الحق والباطل والخير والشر في إطاره العام،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد يقع صراعات جانبية كالصراع الداخلي بين أهل الحق بسبب رأي أو مصلحة أو صراع داخلي بين أهل الباطل، كما في صراع الروم والفرس قبل الإسلام.
وتمر حالات سلام يتحول فيها الصراع من شكله العسكري إلى شكل اقتصادي أو اجتماعي أو فكري... وعوامل صعود الأمم وهبوطها هو بقدر تمسكها بالقيم الإنسانية والأسباب المادية، فالقيم تكتسب أهميتها كلما كانت أقرب إلى هدي السماء، وتنتكس الحضارات وتذهب الأمم لما تفرط بالقيم الإيجابية من زاوية، أو لما تترك أسباب القوة المادية من زاوية أخرى

لقد قدم القرآن تصوراً عاماً لسنن التاريخ وحركة الحياة، ومحال أن يصدر هكذا تصور في عمقه وشموليته وإدراكه لحقائق الأمور من بشر، وإنما هو كلام خالق القوى والقدر، ونستطيع تلخيص أهم معالم هذا التصور بالأمور الآتية:

أ ـ **حركة التاريخ بشكل عام هي صراع بين الحق والباطل،** كما هي حال الرسل والأنبياء ـ عليهم السلام ـ مع أقوامهم، قال تعالى يحكي قصة الصراع الأبدي بين الحق والباطل، وحزب الله وحزب الشيطان: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ، قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ، قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ، وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ، وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ، وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ) (سورة إبراهيم: الآيات9-14).
ب ـ **وقد تكون صراعا بين باطلين أحدهما أقل شرا من صاحبه،** وقد وردت إشارة إلى ذلك في سورة الروم وصراعهم مع الفرس. قال تعالى: (الم، غُلِبَتِ الرُّومُ، فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ، فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ) (سورة المؤمنون: 1-4).

ت ـ **وقد يكون بين الظالمين أنفسهم،** فيضرب بعضهم رقاب بعض، وينتقم الله منهم جميعاً، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ). (سورة الأنعام: الآية129)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ث ـ **وقد يكون بين المؤمنين في حالات استثنائية**: إذ قد يقع الخلاف داخل أهل الحق، ولذلك أمر الله سبحانه بالصلح بين المؤمنين، فإذا تعثر وجب قتال الفئة الباغية حتى تعود إلى الحق، قال تعالى: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (سورة الحجرات: الآية9).
وقد نهى الله تعالى المؤمنين عن الفرقة والاختلاف، كي لا يتكرر معهم ما حصل مع من سبقهم من الأمم السالفة، فالبشرية مادة واحدة، يشبه بعضها بعضاً، ولذلك ينبغي الاحتراز من تكرار تجارب السابقين، قال تعالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (سورة آل عمران: الآية105).

ج ـ **البقاء للأصلح دائماً**، قال تعالى: (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ) (سورة الرعد: الآية17). وليس للأقوى كما يتوهم ديناصورات المال والأعمال مثل قارون وحزبه!.

ح ـ **التغيير الاجتماعي يبدأ من النفس أولا**: قال تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (سورة الأنفال: الآية53).

خ ـ **سنن الله لا تحابي أحداً**، قال تعالى: (لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً) (النساء:123).

د ـ **مسيرة الأمة خير شاهد على صدق القرآن الكريم**، وهي دليل واقعي على الإعجاز في إدراك سنن التاريخ وحركة الحياة، فهناك ثلاث معجزات حضارية في مسيرة الأمة!.

ففي مسيرة هذه الأمة انتصارات وهزائم، وصعود وهبوط على مدى خمسة عشر قرنا، لعل أبرز ثلاثة محطات في تاريخها كانت الآتية:

1- مرحلة فجر الدعوة وظهورها إلى القرن السادس الهجري
2- مرحلة الانكسار الحضاري منذ دخول التتار بغداد سنة 656هـ حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري.
3- مرحلة محاولة لصعود مرة أخرى، وبدأت من القرن الرابع عشر الهجري حتى اليوم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثلاثة معجزات حضارية في تاريخ الأمة، بدأت من ولادة هذه الأمة من مكة المكرمة، وهي في واد غير ذي زرع ولا حياة، ولم تكن ثمة أي مقومات حضارية لهذا المكان في عمق الصحراء، فكان خروج هذا الدين العظيم من ذلك المكان الصحراوي معجزا كخروج ناقة صالح من صخرة في الجبل!

انتشر نور الدعوة، وعم العالم، وركن العرب والمسلمون إلى الدعة والسكون، فكان لا بد لهذه الأرض الساكنة من أن تتحرك، فجاء الصليبيون ومن بعدهم التتار الذين استأصلوا جذور الخلافة الإسلامية من بغداد، وبدأ عصر الانحدار، فسنن الله لا تحابي أحدا، والله الذي يخرج الحي من الميت يخرج الميت من الحي أيضا، وهذا هو إعجاز القدرة الإلهية، فالحالة التي آلت إليها الأمة من الركون والاسترخاء والتكالب على الشهوات، وفرار أهل الصلاح من مواجهة المنكر وإيثارهم العزلة كل ذلك سبب ضعفا حضاريا، وسنن الله لا تتغير، قال تعالى: (لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً) (النساء:123). وقال أيضا: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الأنفال:53)، وقال جل من قائل: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (ابراهيم:7)، وفي الحديث عن زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم ـ قالت: استيقظ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول: (لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا) وحلق بأصبعيه: السبابة والإبهام، قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال: (نعم إذا كثر الخبث) [9]. فكثرة الخبث جعل طوفان التتار يجتاح الجميع، (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً) (الأحزاب:62).

في المرحلة الثالثة وتبدأ بعد الطوفان، انتصارات كثيرة على يد العثمانيين، وانكسارات أكبر بعد سقوط الخلافة العثمانية بفعل عوامل داخلية وخارجية عديدة، ووقع العالم الإسلامي فريسة للمستعمرين، ثم بدأت حركات التحرر والاستقلال، وقد بدأ المسلمون يتحسسون طريق النهضة بعد أن تحررت معظم بلدانهم من الغزو العسكري، بيد أنها ما زالت ترزح تحت الغزو الحضاري والفكري، ويقف المسلمون في انتظار المعجزة الثالثة، وهي نهضة العالم الإسلامي من جديد، فما زال في يده إكسير الحياة وهو القرآن الكريم، فلا يأس ولا قنوط برغم كثرة الجراحات.

---

[9] ـ مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني، (437/2). وقال ابن كثير: هذا حديث صحيح اتفق البخاري ومسلم على إخراجه من حديث الزهري..

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هكذا هي دورة الحياة!

سابعاً: قيم الحضارة الإسلامية

جاء القرآن الكريم بكل القيم الحضارية التي تسعد الإنسان وتطوره، كما نهى عن كل القيم السلبية التي تسبب الضرر والتعاسة للإنسان، فمن ذلك:

أ- **العدل**، وهو قاعدة الحياة الاجتماعية عبر العصور لجميع الأمم، أمر الله به فقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً) (النساء:58)

ب-**الرحمة**، وهي من صفات الرب الكريم والمجتمع السليم، قال تعالى: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) (غافر:7)

ت- **التكافل الاجتماعي**، وهو دليل وحدة الأمة وترابطها، قال تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا)(آل عمران: من الآية103)

ث-**الحرية**، وهي قاعدة من قواعد التكليف، فلا عبرة لكفر المكره أو إيمانه، قال تعالى: (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة:256).

ج- العلم ، وهو الطريق المؤدي إلى سعادة الدارين، قال تعالى: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً)(طـه: من الآية114).

ح- **العمل** ، وهو تابع العلم، ومكمله، قال تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (التوبة:105).

خ- **المحافظة على الوقت** ، وهي تفيد في برمجة أعمال الإنسان، وتحمل المسئوليات، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (يونس:5).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

د- **المساواة وسيادة القانون**، فالجميع عباد الله، ولا ميزة لجنس أو لون على آخر، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات:13).

ذ- **الشورى** ، وهي قاعدة الحياة السياسية للأمة المسلمة، قال تعالى: (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (الشورى:38).

ر- **العمران** ، فالأرض مسخرة للإنسان وعليه أن يعمرها، قال تعالى: (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)(هود: من الآية61).

ز- **حقوق المرأة**، لأن المرأة شريكة الرجل في التكليف والمسئولية، قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم:21).

س- **السلام**، وهو قاعدة الحياة الإنسانية في الإسلام، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (البقرة:208).

وهذه القيم تكاد تشكل الهيكل الفقري لكل الحضارات عبر التاريخ، والقاسم الشترك بينها، فلله ما أعظم هذه القيم التي نوه بها الكتاب الخالد، والتي من خلالها تستطيع أي أمة ان تجد لها مكانا تحت الشمس[10].

إن احتواء هذا القرآن على هذه القيم بشكل أساسي، إضافة إلى عشرات القيم الإيجابية الأخرى، ونهيه عن كل ما يعكر صفو الحياة، ويكدر حياة الفرد والجماعة، لهو إنجاز معجز بحد ذاته، فلله كيف يمكن لأمي أن يحيط بمثل هذا علماً لو لم يكن يوحى إليه! فتبارك الله رب العالمين!

خاتمـــــة

هذا هو الإعجاز الحضاري، فقد جعل الإسلام من رعاة الغنم رعاة للأمم، ومن سكان الصحراء بناة لحضارة بغداد ودمشق والأندلس، فلنشدو مع شاعر الإسلام محمد إقبال

[10] - شرحنا هذه القيم في كتابنا: القيم الحضارية العليا في الدعوة الإسلامية، والذي نشرته دار اقرأ بدمشق.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مزهوين بمجد الإسلام وإعجازه الحضاري: [11]

الدين لنا والحـــــق لـــــنا
والـــعـــدل لنـــا والكل لنا
أضحى الإسلام لنا ديـــــنا
وجـــميـــع الكون لنا وطـــنا
توحيد الله لنـــا نـــــور
أعددنا الـــروح له سكنـــا
بنيت في الأرض معـــــابدها
والبيت الأول كعبـــتنـــــا
الكـــون يزول ولا تمـــحى
في الأرض صحـــائف سؤددنـــا
علم الإســـــلام علـــى الأيـــام
شـــعـــار المـــجـــد لأمـــتـــنـــا
قولوا لسماء الكون لـقـــــد
طاولنا النـــــجـــم برفعتنـــا
وأذان المســـــلم كـــان له
في الغرب صدى من همتـــنـــا
روض الإســـــلام ودوحته
في أرض رواها دمنـــــا
إن اسم محـــمـــد الهـــادي
روح الآمـــال لنهضتـــــنا

رحم الله محمد إقبال، ورحم معه كل من تغنى بأمجاد المسلمين الخالدة، وكل من سعى لاستعادة تلك الأمجاد من جديد، لتحتل هذه الأمة مكانتها المرموقة تحت الشمس، ولتقود ركب البشرية التائه إلى شواطئ الأمن والإيمان، والسعادة لهذه الإنسانية قاطبة.

[11] - ديوان نشيدنا، ص (43-44).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني:

نظرية العكس في إثبات الإعجاز

نتبع في هذا البحث منهجا جديدا في دراسة الإعجاز[12]، وهو منهج أشار إليه القرآن، قال تعالى: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً) (النساء:82)
فلو كان هذا القرآن من عند غير الله، لاقتضى أن نجد فيه ما في كلام البشر من تناقض وتباين، وقصور وفتور وغير ذلك مما يعتري الأساليب البشرية، ولو أنه من عند غير الله لوجدنا اهتمامات مؤلفه هي نفس اهتمامات البشر، ومقاصده هي مقاصد سائر الكتاب، وكذا موضوعاته، ولكان للبيئة أثر فيه، ولما كان القرآن خلو من ذلك كله، علمنا أن قائله هو خالق القوى والقدر، وانه أنزله من فوق سبع سماوات.

وهذا المنهج في هذا المبحث يعد منهجا جديدا في دراسة الإعجاز، جاء به القرآن، ولكن العلماء مروا به مرور الكرام، ولم يعمقوه ولم يؤسسوه.

أولا: ما هي نظرية العكس؟

ماذا لو كان القرآن من عند غير الله كما يدعي المغرضون والمعاندون المبطلون؟
لو كان هذا القرآن من عند غير الله ـ وهو محال ـ لاقتضى أن نجد فيه اختلافا كثيرا، اختلافا في داخله، واختلافا عما هو في خارجه.

فأما الاختلاف في داخله، فهو أن يقع فيه ما في كلام البشر من تناقض وتباين، وقصور وفتور وغير ذلك مما يعتري الأساليب البشرية، ولو أنه من عند غير الله لوجدنا اهتمامات مؤلفه هي نفس اهتمامات البشر، ومقاصده هي مقاصد سائر الكتاب، وكذا موضوعاته، ولكان للبيئة أثر فيه، أي باختصار لكان كأي كتاب بشري فيه ما يعتري البشر من إيجابيات وسلبيات.

وأما الاختلاف مع ما في خارجه، فهو تناقضه مع سنن النفس والكون والحياة والحقائق العلمية والكشوفات التاريخية والمستقبل المستور.

---

[12] ـ نشر هذا البحث في مجلة العربية التي تصدر عن جمعية حماية اللغة العربية، الشارقة، العدد19 يوليو 2007م.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولما كان القرآن خلو من ذلك كله، علمنا أن قائله هو خالق القوى والقدر، وانه أنزله من فوق سبع سماوات؛ فلماذا لا ندرس أساليب البشر واهتماماتهم التي تتجلى في أقوالهم، ثم لننظر بعد ذلك في القرآن، لنجده بريئا من أي أسلوب بشري، فنعلم أنه من عند الله، هذا ما نعنيه بنظرية العكس في إثبات الإعجاز.

ثانيا: المنهج السائد في دراسة الإعجاز

إن المنهج الأساسي السائد في إثبات الإعجاز هو طريق التحدي، فعجز العرب عن المجيء بمثل القرآن هو دليل صدقه، قال تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) (البقرة:23-24)

ثالثا: لماذا لا تتعدد المناهج؟

ذكرنا أن هنالك منهجا آخر أشار إليه الرب سبحانه في إثبات إعجاز القرآن، ففي القرآن الكريم آية كريمة ترسم قاعدة بارعة لإثبات إعجاز القرآن وصدق مصدره الرباني، قال تعالى: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً) (النساء:82).

إذ لو كان القرآن من عند غيره لكان ينبغي أن يكون على غير الحالة التي هو عليها، ولكان فيه اختلاف كثير، فما هو المقصود بالاختلاف، هذا ما سنبحثه من خلال الاسترشاد بأقوال المفسرين، ولكن ثمة سؤال هنا، لماذا لا تتعدد المناهج في دراسة الإعجاز؟ فالمهم هو إثبات الإعجاز بطريقة برهانية صحيحة، والجمود عند طريقة واحدة معناه وقف الإبداع والاجتهاد، وهذا هو الذي جعل دراساتنا دون المستوى الذي يستحقه القرآن، والذي لا تنقضي عجائبه في كل عصر وكل مصر، ولكننا عن كنوزه غافلون.

رابعا: نظرة في أقوال المفسرين:

<u>لنعد إلى المفسرين، ونقتبس من أقوالهم:</u>

أ - فقد قال الزمخشري في تفسير الآية:

"تدبر الأمر: تأمله والنظر في إدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استعمل في كل تأمل، فمعنى تدبر القرآن: تأمل معانيه وتبصر ما فيه (لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً) لكان الكثير منه

مختلفاً متناقضاً قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه، فكان بعضه بالغاً حد الإعجاز، وبعضه قاصراً عنه يمكن معارضته، وبعضه إخباراً بغيب قد وافق المخبر عنه،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبعضه إخباراً مخالفاً للمخبر عنه، وبعضه دالاً على معنى صحيح عند علماء المعاني. وبعضه دالاً على معنى فاسد غير ملتئم، فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء، وتناصر صحة معان وصدق إخبار، علم أنه ليس إلا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره، عالم بما لا يعلمه أحد سواه.
فإن قلتَ: أليس نحو قوله: (فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ) (الأعراف: 107)، (كَأَنَّهَا جَانٌّ) (النمل: 10)، (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) (الحجر: 92) ، (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ) (الرحمن: 39)، من الاختلاف؟. قلتُ: ليس باختلاف عند المتدبرين"[13]

ب - وقال القرطبي في تفسير الآية:
"(اختلافا كثيرا) أي تفاوتا وتناقضا؛ عن ابن عباس وقتادة وابن زيد. ولا يدخل في هذا اختلاف ألفاظ القراءات وألفاظ الأمثال والدلالات ومقادير السور والآيات. وإنما أراد اختلاف التناقض والتفاوت. وقيل: المعنى لو كان ما تخبرون به من عند غير الله لاختلف. وقيل: إنه ليس من متكلم يتكلم كلاما كثيرا إلا وجد في كلامه اختلاف كثير؛ إما في الوصف واللفظ؛ وإما في جودة المعنى، وإما في التناقض، وإما في الكذب. فأنزل الله عز وجل القرآن وأمرهم بتدبره؛ لأنهم لا يجدون فيه اختلافا في وصف ولا ردا له في معنى، ولا تناقضا ولا كذبا فيما يخبرون به من الغيوب وما يسرون" [14]

ت - وقال البيضاوي في تفسير الآية:
"اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض أخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره هاهنا للتنبيه على أن اختلاف ما سبق من الأحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الأحوال في الحكم والمصالح"[15]

ث - وقال ابن كثير:
" يقول تعالى آمراً لهم بتدبر القرآن وناهياً لهم عن الإعراض عنه وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة, ومخبراً لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب ,ولا تعارض لأنه تنزيل من حكيم حميد فهو حق من حق, ولهذا قال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (سورة محمد: الآية24).. ثم قال: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ) أي لو كان مفتعلاً مختلقاً, كما يقوله من يقول من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم (لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً), أي اضطراباً وتضاداً كثيراً, أي وهذا سالم من الاختلاف, فهو من عند الله، كما قال تعالى مخبراً عن الراسخين في العلم حيث قالوا (آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ

---

[13] - تفسير الكشاف، (540/1).
[14] - تفسير القرطبي، (290/5)، دار الشعب، القاهرة
[15] - تفسير البيضاوي، (225/2)، دار الفكر، بيروت.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رَبِّنَا)(سورة آل عمران: الآية7). أي محكمه ومتشابهه حق, فلهذا ردوا المتشابه إلى المحكم فاهتدوا, والذين في قلوبهم زيغ ردوا المحكم إلى المتشابه فغووا, ولهذا مدح تعالى الراسخين وذم الزائغين"[16]

خامسا: نتائج أقوال المفسرين:

والذي نستفيده من التفاسير السابقة: أن الاختلاف هو إما في داخل القرآن، أو في الواقع الخارجي عنه، وعليه يمكن حصر الاختلاف ـ لو وجد ـ بالأمور الآتية:

1- اختلاف القرآن بعضه مع بعض.
2- اختلافه من حيث الفصاحة والبيان.
3- اختلافه من حيث التأثير والتأثر.
4- تناقضه من حيث الموضوعات.
5- تناقضه مع العلم الصحيح.
6- تناقضه مع الواقع.
7- تناقضه مع الحالة التي هو عليها من الكمال.
8- تناقضه مع فطرة الإنسان.
9- تناقضه مع سنن الكون والحياة.
10- تناقضه مع الشرائع السماوية السابقة.

ولما كان القرآن بريئا من كل الاختلافات والتناقضات السابقة مما أدرجناها أو لم ندرجها، علمنا علميا يقينيا لا يتطرأ إليه أدنى شك أن هذا الكتاب من عند الله تعالى، وصدق الله العظيم إذ يقول: (قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً) (الفرقان:6)

سادسا: دراسات السابقين:

دأب العلماء السابقون أمثال ابن قتيبة والباقلاني والخطابي والرماني وعبد القاهر الجرجاني والزمخشري والفخر الرازي وغيرهم ـ رحمهم الله تعالى وشكر سعيهم جميعا ـ على إثبات الإعجاز في كتبهم، ودفع كل شبهة حوله، ومنها معظم الشبهات السابقة، كما دأب المعاصرون أمثال الشعراوي والزرقاني وسيد قطب ودراز وابن عاشور ـ رحمهم الله جميعا ـ في الإجابة عما استجد من شبه حول القرآن وإعجازه، فلا تجد شبهة إلا وقد أجاب عنها السلف أو الخلف أحسن جواب!.

ولكن ما نفعله نحن هنا أننا انطلقنا من نفي الشبه إلى إثبات الإعجاز، وهو منهج قرآني، أشار إليه العلماء السابقون باقتضاب، ونحن هنا نرسمه ونبين معالمه.

---

[16] ـ مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني، (416/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سابعا: حدود دراستنا

في هذا المبحث نحن نرشد إلى نظرية العكس في إثبات الإعجاز، ولكن لا نستطيع أن نشرحها بالتفصيل والتمام، لأن هذا موضعه دراسة تفصيلية موسعية، وهو يستحق أكثر من رسالة دكتوراة في تخصص الإعجاز، إذ يمكن دراسة كل فقرة ضمن مبحث مستقل، أو كتاب كامل، **ولكن نكتفي هنا بإشارات موجزة، تكون صوى في طريق العلم لمن أراد أن يسلكه، فنقول:**

1- لا بد للمتكلم من غرض دنيوي يسعى إليه، ولذلك تكسب الشعراء بالشعر، والكهان بالكهانة، والأحبار والرهبان بتحريف الكتاب، أما القرآن فقد كان بريئا من هذا كله، فهو يعلن بوضوح: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً) (الفرقان:57). وكتاب لا يريد صاحبه به أجرا يدل على أن له غاية أكبر من هذه الدنيا، وليس له ثمة مصلحة دنيوية رخيصة، قال تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً) (الفرقان:1).

2- لا بد لأي مؤلف من أن يقتبس العلم عن أستاذ أو أكثر، وأن يتأثر به في أسلوبه ومنهجه، ولم نعلم محمدا التمس العلم من أحد من البشر، زعموا أن رجلاً أعجمياً يعلم محمداً، وهذا زعم لا يستقيم والمنطق، فكيف يكون الأعجمي معلماً لمحمدٍ قواعد الفصاحة والبيان، قال تعالى: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) (النحل:103).

قال ابن كثير: "**أي** فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة التي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل على بني أُرسل, كيف يتعلم من رجل أعجمي ؟ لا يقول هذا من له أدنى مسكة من العقل. قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغني ـ كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصراني يقال له جبر, عبد لبعض بني الحضرمي, فأنزل الله: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ). وكذا قال عبد الله بن كثير, وعن عكرمة وقتادة: كان اسمه يعيش . وقال ابن جرير: حدثني أحمد بن محمد الطوسي, حدثنا أبو عامر, حدثنا إبراهيم بن طهمان عن مسلم بن عبد الله الملائي, عن مجاهد, عن ابن عباس قال: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلم قيناً بمكة, وكان اسمه بلعام, وكان أعجمي اللسان, وكان المشركون يرون رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدخل عليه ويخرج من عنده, فقالوا: إنما يعلمه بلعام, فأنزل الله هذه الآية"[17].

[17] ـ مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني، (347/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فطالما انتفى وجود معلم عربي لمحمد، وطالما انتفى وجود أثر لمعلم من البشر في أسلوب القرآن، فمن علم محمداً القرآن؟ والجواب في القرآن ذاته: (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى) (النجم:5).

3- لا بد للإنسان من أن يكون شاعرا أو ناثرا، وليس بوسع إنسان أن يكون غير ذلك، وقد جاء القرآن بأسلوب جديد لا هو بشعر ولا بنثر، يقول الدكتور شوقي ضيف: (إن آي القرآن تباين كلام الإنس من فصحائهم، كما تباين كلام الجن الذي كان ينطق به كهانهم، إنه ليس شعرا موزونا مما كان يدور على ألسنة شعرائهم، ولا سجعا مقفى مما كان يدور على ألسنة كهانهم وغيرهم من خطبائهم، إنما هو نمط وحده، فصلت آياته بفواصل تطمئن عندها النفس، وتجد فيها وفي كل ما يتصل بها من ألفاظ روحا عذبة، إنه نمط باهر، بل هو نمط معجز ببيانه وبلاغته)[18]. وابتكار أسلوب جديد لم يعرفه البشر عبر التاريخ كله، يدل على أنه من عند الله.

4- لا يعدو أثر أي كاتب أو شاعر أن يكون محدوداً مهما كان كبيراً، ولكن أن يأتي كتاب يقلب الأمور، ويطمس كل ما سواه، ويؤثر في العرب والعجم، والصغير والكبير، والذكر والأنثى، والحر والعبد، تأثيراً ممتداً من لدن نزوله وإلى قيام الساعة؛ فهذا دليل قدرة إلهية!، وهذا ما حصل للقرآن، يقول الدكتور شوقي ضيف: (وهذا الأسلوب البالغ الروعة الذي ليس له سابقة ولا لاحقة في العربية هو الذي أقام عمود الأدب العربي منذ ظهوره، فعلى هديه أخذ الخطباء والكتاب والشعراء يصوغون آثارهم الأدبية، مهتدين بديباجته الكريمة، وحسن مخارج الحروف فيه، ودقة الكلمات في مواضعها، بحيث تحيط بمعناها، وبحيث تجلي عن مغزاها، مع الرصانة والحلاوة، وكان العرب ـ ولا يزالون ـ يتحفظونه، فهو معجمهم اللغوي والأدبي، الذي ساروا على هداه، مهما اختلفت أقطارهم أو تباعدت أمصارهم وأعصارهم)[19]

5- قد يغلط الأديب، وقد يتناقض الشاعر مع نفسه، أو مع الواقع، أو مع التاريخ، ووقعت من فحول الشعراء أخطاء كثيرة تتبعها المرزباني في الموشح حيث قال: (وأودعت هذا الكتاب ما سهل وجوده، وأمكن جمعه، وقرب متناوله، من ذكر عيوب الشعراء التي نبه عليها أهل العلم، وأوضحوا الغلط فيها) [20]، وليس في القرآن كله خطأ واحد أو تناقض واحد، وليس بوسع إنسان أن يأتي بكتاب لا يقبل التغيير والتبديل والتصحيح، وهذا يعني أنه من لدن خالق البشر.

---

[18] - تاريخ الأدب العربي (2) العصر الإسلامي، ص (30)، دار المعارف، الطبعة 16.

[19] - نفسه، ص (34).

[20] - الموشح ،تحقيق علي محمد البجاوي، ص (15)، دار الفكر العربي، القاهرة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

6- يحتاج الأديب إلى التغيير والتبديل مدة بعد أخرى، وربما ساعة بعد أخرى، كما ذكر القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني في رسالته إلى العماد الأصفهاني (معتذرا عن كلام استدركه عليه: إنه قد وقع لي شيء وما أدري أوقع لك أم لا وها أنا أخبرك به، وذلك أني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر ،وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر)[21]... فهذا شأن البشر... والقرآن كتاب خالد ثابت لم يتغير ولم يتبدل، وليس بوسع بشر صناعة كتاب مثله.

7- يتفاوت أسلوب الكاتب في الموضوع الواحد، ومن موضوع إلى آخر، صعوداً وهبوطاً، بحسب أهمية الموضوع، والحالة النفسية لصاحبه، وغرض الكاتب، وقدرته الأدبية... والقرآن طبقة واحدة من البلاغة العليا، وليس هذا بوسع بشر.

8- لا يكاد يخلو كتاب تقريبا ـ ولا سيما قديماً ـ من إهداء إلى ملك من الملوك، أو وجيه من الوجهاء، يلتمس فيه الكاتب عوناً على صروف الزمان، والقرآن ليس فيه التجاء إلى ملك من ملوك الأرض، بل التجاؤه الوحيد إلى مليك السماء!.

9- ليس بوسع كاتب أن يكتب في الدين والتاريخ والمجتمع والأسرة وكافة شئون الحياة، لأن كل موضوع يحتاج إلى أسلوب خاص به، والقرآن تناول هذا كله.

10- ليس بوسع كاتب أن يتنبأ بشئون المستقبل، قال زهير[22]:

وأعلم ما في اليوم والأمسِ قبله
ولكنني عن علمِ ما في غدٍ عمي

وعليه فلو جاء كتاب حافل بالنبوءات القريبة والبعيدة، وتحققت تلك النبوءات، علمنا أن هذا لم يحدث صدفة، وأن صاحب الكتاب على صلة بعالم الغيب، فإما أن يكون إلهاً إذا صدق في كل النبوءات، أو نبياً، أو كاهنا، أو ساحرا.
فأما الأنبياء فهم لا يعلمون الغيب، إلا بقدر ما يطلعهم الله عليه، وصدقهم تأكيد لرسالتهم.

---

[21]- أبجد العلوم، للقنوجي، تحقيق عبد الجبار زكار، ص (71)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م.
[22]- شرح القصائد العشر، للتبريزي، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ص (199).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأما أهل الكهانة والسحر، فهم يعتمدون على الجن، ويمزجون أخبارهم بالكذب، فيصدقون ببعضها، ويكذبون في أكثرها، ويلبسون على الناس بمزج الكذب مع الصدق.
فإذا امتنع أن يكون صاحب أَخبار الغيب نبياً، أو كاهناً، أو ساحراً، كما في الحالة القرآنية، فإنه لم يبق إلا الله!، وهذا هو الاحتمال الوحيد الذي يقبله العقل بشأن القرآن، فأخبار الغيب فيه من لدن رب العالمين!.

11- ليس بوسع بشر أن يتحدث عن الماضي السحيق بلا علم، وإذا تكلم ربما مزج حديثه بالخرافة والأساطير، وانكشف جهله وضلاله، وقد تناول القرآن ماضي البشرية كله، ابتداء من خلق آدم، ومروراً بسلسلة ذهبية من الأنبياء الكرام وجهادهم لأهل الضلال من أقوامهم، وكان كلامه حقا، فهذا يدل على أنه من لدن خالق البشر.

12- الفنون التي دار عليها الشعر العربي سبعة، هي: المديح والهجاء والنسيب والرثاء والصفات والحكمة والزهد، وأكثر الأغراض دورانا المديح والهجاء، والقرآن الكريم دار في معظمه على أغراض جديدة، مثل الإيمان والكفر والعبادات والمعاملات، والغيب والشهادة، والهجرة والحرب، وتعرية النفاق وفضح المنافقين، وجدال أهل الكتاب بالتي هي أحسن، أما أغراض الشعر فحوَّرها في طريق آخر يخدم الدين والعقيدة الجديدة، فالمديح كان للعمل الصالح وأهله، والهجاء لعمل السوء وأهله، والرثاء للشهداء، والغزل لم يقف عليه القرآن، والصفات كانت في معظمها للجنة والنار والقيامة، والحكمة القرآنية تختلف عن حكمة الجاهلية، وأما الزهد فقليل في الشعر العربي، بيد أن مضمونه كثير في القرآن، وعليه فالقرآن طرق موضوعات جديدة لم يطرقها الشعر العربي، فهو ليس من وادي الشعر، لا من حيث الشكل ولا المضمون، وطالما أنه أثر في العرب أكثر من تأثير الشعر مع إبداعهم للشعر وحبهم له، فهذا يدل على سر إلهي فيه.

13- في القرآن حديث عن خلق الإنسان والكون والحياة، مما أثبته العلم المعاصر، وهو يندرج تحت مبحث الإعجاز العلمي، وليس بوسع كتاب أن يتناول أدق الحقائق العلمية في أمة أمية، وصاحبه رجل أمي، وأن لا يكون هنالك أية تناقض بين محتويات الكتاب وحقائق العلم إلا أن يكون هذا الكتاب من عند الله تعالى.

14- كثيرا ما يلجأ الشعراء والكتاب إلى رفعة أقوامهم ومدحهم والتفاخر بالعرق واللون والوطن، وهجو الآخرين، والحط من شأنهم، وليس في القرآن

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شيء من هذا ألبتة، وفي هذا الصدد نذكر ماروا ه الجاحظ: "قال أبو عبيدة: كان الرجل من بني أنف الناقة إذا قيل له: ممن الرجل؟. قال: من بني قُريع. فما هو إلا أن قال الحطيئة:

قومٌ همُ الأنفُ والأذنابُ غيرهمُ
ومن يُساوي بأنفِ الناقةِ الذنبا

وصار الرجل منهم إذا قيل له: ممن أنت؟ قال: من بني أنف الناقة".[23]
يلاحظ كيف رفع بيت من الشعر هذه القبيلة، وكيف حط من شأن غيرها من القبائل، وهذا ديدن الشعراء والخطباء، وما أبعد القرآن عن مثل هذا!؟.

15- تفقد الكتابة قيمتها من عصر لآخر، ومن مكان لآخر، أو تتقلص قيمتها، فنحن الآن لا تروقنا أساليب الكتابة في العصر المملوكي والعثماني مثلاً، بل إن الأذواق لتتفاوت في العصر الواحد، ولا أدل على هذا من موقف نقاد زماننا من شعر الحداثة، فمنهم من يرفعه إلى الذروة، ومنهم من يخفضه إلى الحضيض، والأمر باالنسبة لأسلوب القرآن مختلف جداً، فالقرآن هو الكتاب الوحيد المتلألئ في كل دهر، الساطع في كل مصر، لا يذهب بريقه، ولا يخبو جماله، فما هو إلا كما قال الشاعر:[24]

يزيدك وجهه حســـناً
إذا ما زدته نـــــــظرا

16- لم نعهد كتابا لأمة انتشر في بقية الأمم، وحفظه غير أهل لسانه عن ظهر قلب، ومنهم من لا يعرف من لغته حرفا، إلا القرآن الكريم، فهو كتاب عالمي بامتياز، خالد أبد الدهر، فهو رسالة إلى البشرية كلها، قال تعالى: (وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) (سورة القلم: الآية52). وقال تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) (سورة الفرقان: الآية1).

17- لم نعهد كتابا يقرأه الصغير والكبير، والذكر والأنثى، والعالم وغيره، والعربي والعجمي، ويتلذذون بتلاوته غير القرآن الكريم، قال تعالى: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) (سورة القمر: الآية17).

---

[23]- البيان والتبيين، (38/4).
[24]- لأبي نواس، انظر: مختارات البارودي، (210/4).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

18- لم نعهد كتاباً محفوظاً، لم يتغير أو يتبدل، أو يطرأ إليه التحريف والزيادة والنقصان غير القرآن الكريم، قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (سورة الحجر: الآية9).

19- لم نعهد كتابا جمع زبدة اللغة، وخلاصة العلوم إلا القرآن الكريم، قال تعالى: (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (27) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) (سورة الزمر: الآيتان27-28). وبسبب البلاغة القرآنية المعجزة عجز العرب عن محاكاة القرآن أو المجيء بسورة من مثله، وفي هذا الصدد يقول الزمخشري: "ولم تظهر معجزتهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة، وهم أمراء الكلام، وزعماء الحوار، وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب، والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز، ولم يبلغ ـ أي القرآن ـ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بزت بلاغة كل ناطق، وشقت غبار كل سابق، ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء، ولم يقع وراء مطامح أعين البصراء، إلا لأنه ليس بكلام البشر، وأنه كلام خالق القوى والقدر"[25].

20- لم نعهد كتابا تناول أمور الدين والدنيا، وأمور الجنة والنار، وأمور الطهارة والنجاسة، والحرب والسلم، ولم يترك شيئا إلا وذكره غير القرآن الكريم، قال تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (سورة النحل: الآية89).

21- لم نعهد كتابا أثر في الناس، وجعل أعداءه يقرون بجماله وعظمته، ومنهم من أسلم لسماع آيات منه غير القرآن الكريم، قال تعالى يصف تأثر بعض أهل الكتاب بسماع القرآن، وبكائهم لمجرد سماعه، وإيمانهم بالرسول صلى الله عليه وسلم عقب ذلك البكاء: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ، وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) (سورة المائدة: الآيتان82-83).

22- يعرف الأسلوب بأنه: (طريقة يستعملها الكاتب في التعبير عن موقفه والإبانة عن شخصيته الأدبية المتميزة عن سواها، لا سيما في اختيار المفردات، وصياغة العبارات، والتشابيه، والإيقاع... قال بوفون: الأسلوب هو الإنسان

[25] – تفسير الكشاف، (27/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نفسه).[26] فإذا كان السلوب صورة عن صاحبه، فصاحب القرآن كما يتجلى من أسلوبه ليس له أية صفة إنسانية، فهو لا يأكل ولا يشرب ولا يتناسل، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) (الذريات:56-58). وليس له مثيل، قال تعالى: (فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَأُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى:11). وهذا يعني بالضرورة أنه إله اللغة، وإله النبي، وإله الناس، وإله الكون، ذلك هو العزيز العليم.

23- لم نعهد كتابا أو كاتبا أو شاعرا أو خطيبا أو بليغا إلا وعاب الناس عليه شيء أو أشياء، قال القاضي الجرجاني: (وقد تجد كثيرا من أصحابك ينتحل تفضيلَ ابن الرومي ويغلو في تقديمه، ونحن نستقرئ القصيدة من شعره، وهي تناهز المائة أو تربي أو تضعف، فلا تعثر فيها إلا بالبيت الذي يروق أو البيتين، ثم قد تنسلخ قصائد منه وهي واقفة تحت ظلها، جارية على رسلها، لا يحصل منها السامع إلا على عدد القوافي وانتظار الفراغ)[27].

والأمر مع القرآن الكريم مختلف، فهو بحر الجمال والجلال، وشمس المعالي والكمال، فهو الذي يحيي الأفكار وينير القلوب، لا تمله الآذان، ولا تمجه الأذواق، وهذا يدل على أنه من لدن صاحب قدرة خارقة، وهو الله العزيز العليم.

24- وأخيرا وليس آخرا لا نعلم كتابا ينطق بالحق، وجمع الخير والجمال والحكمة، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إلا القرآن الكريم، وصدق الله تعالى في وصف كتابه حيث قال: (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (سورة فصلت: الآيتان41-42).

إن كتابا هذه أوصافه، لهو من عند الله، شاء أعداؤه أم رفضوا، قال تعالى: (قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً) (الاسراء:107).

فليس بوسع بشر صناعة كتاب كهذا القرآن، بل ليس في وسعهم جميعا فعل ذلك، قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً)(الرعد: من الآية31). ، فسبحان من أنزله، ولم يجعل له عوجا.

---

[26] - المعجم الأدبي، جبور عبد النور، ص (20)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، 1984م.

[27] - الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، ص (54)، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذه هي نظرية العكس في إثبات الإعجاز، فقد قادنا وصف الكتاب إلى صاحبه وهو الله العلي الحكيم، وأما الطريقة السائدة فهي أنه معجز لأن فيه كذا وكذا، فعكسنا وقلنا لأن فيه كذا وكذا فهو معجز، ولأنه خلا من كذا وكذا فهو معجز، وهذه النظرية تعلمناها من منهج القرآن في الاستدلال، وتفصيل العناصر السابقة يحتاج إلى مجلدات، ولعل الله يهيئ من أهل العلم من يثري البحث في هذا الميدان العظيم، أو يفتح لنا من رحمته، ويهيئ لنا من سعة الوقت ودوعي البحث ما يجعلنا نواصل فيه، عليه التوكل، وإليه المآب.

الخاتمة، نوجز فيها ما قدمناه، وأهم التوصيات.

إن مبحث: نظرية العكس في إثبات الإعجاز
يعد منهجا جديدا في دراسة الإعجاز، فلو كان هذا القرآن من عند غير الله، لاقتضى أن نجد فيه ما في كلام البشر من تناقض وتباين، وقصور وفتور وغير ذلك مما يعتري الأساليب البشرية... ولما كان القرآن خلو من ذلك كله، علمنا أن قائله هو خالق القوى والقدر، وأنه أنزله من فوق سبع سماوات.

وأهم التوصيات التي نوصي بها ما يلي:

ندعو في نهاية هذا البحث إلى ما يأتي:

1- تشجيع الدراسات التي تتناول الحديث عن الإعجاز
2- التجديد في تلك الدراسات.
3- نوصي بإقامة مراكز بحوث علمية متخصصة لهذا الغرض العظيم الذي به مناط إثبات النبوة إلى يوم الدين.
4- ندعو إلى إنشاء كلية إعجاز القرآن في كل بلد إسلامي تتولى تعميق هذا التخصص ورعاية المهتمين فيه.
5- وندعو الأمة إلى أن تتمسك بكتاب ربها ليعصمها من كيد الأهواء والفتن التي تعصف بها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثالث:

من خصائص البلد الأمين

معجزة المكان مكملة لمعجزة الزمان والرسالة والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

تمهيـــــد

اختار الله تعالى لنبيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خير الأزمنة، يؤكد ذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...)[28]، واختار له أفضل الأمكنة قال تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (سورة آل عمران: الآيتان96-97)، وأنزل على نبيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحسن كتبه، قال تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) (سورة الزمر: الآية23)، وبعثه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في خير أمم الأرض، قال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (سورة آل عمران: الآية110)، فاجتمعت لدعوته كل خصائص الكمال والجمال، والتميز والإحسان في صورة مشرقة لم يعرف لها التاريخ نداً.

ولما كانت مكة أم القرى، فقد اختار الله لها موقعاً مميزاً، فجعلها في قلب الجزيرة[29]، بعيدة عن جيوش الروم والفرس، حتى تبقى آمنة من الغزو والسلب، فلما أراد طاغية من الحبشة أن يهدم كعبتها، ولم يكن لأهلها طاقة في دفعه تدخلت السماء للذود عنها، وقد تعهد الله بحمايتها بنفسه، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) (الحج:25).

وقد سماها الله بأسماء كثيرة، فهي مكة وبكة والبلد الحرام والبلد الأمين وأم القرى، ولكل من هذه الأسماء دلالته، والواجب على زائرها أن يحترم قدسيتها ولا يفرط بأمنها، ولا يعضد شجرها، ولا يقتل صيدها، فكل ما في الحرم فهو آمن.

ولموقعها الذي اختاره الله تعالى خصائص متعددة، منها الآتي:

---

[28] ـ من حديث رواه الشيخان وأحمد والترمذي عن ابن مسعود، انظر: الجامع الصغير، (478/3).

[29] ـ هذا المبحث في الأصل مقالة بعنوان: من خصائص البلد الأمين، نشرتها في مجلة منار الإسلام، عدد ذي الحجة(348)، 1424هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أولاً: وجودها بين الجبال جعلها في مأمن من الزلازل ونحوها، لأن الجبال أوتاد الأرض، وجعلها مهيبة تتناسب وجلال النبوة والوحي، وحماها من الرمال الجارفة التي قد تطمرها في ما لو كانت مكشوفة في الصحراء، فتمحى آثارها، ولا يعرف الناس سبيلاً إليها.

ثانياً: إن مكة قريبة من البحر، فلا تبعد عن جدة أكثر من ثمانين كيلو متراً، وهذا يسهل الوصول إليها عبر البر والبحر، قال تعالى: (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (المائدة:96). ولو كانت مكة في أي موقع آخر بعيد عن البحر لتعذر الوصول إليها إلا عن طريق الإبل، وهذا فيه مشقة على الناس وتعريضهم للخطر نظراً لندرة المياه في الجزيرة، وعدم توفر أسباب الأمن فيها قبل الإسلام.

ثالثاً: جو مكة حار في نصف العام ومعتدل في نصفه الآخر، وهذا الجو يتناسب مع ملابس الإحرام، ولو كانت بلداً بارداً لتعذر ذلك.

رابعاً: جعلها الله في واد غير ذي زرع، حتى يقصدها الحاج مخلصاً لله تعالى، ولو كانت ذات حدائق لاختلط القصد عند بعضهم بالسياحة، وقد أراد الله من الحاج أن يتجرد له، فأمره بخلع ملابسه ولبس الإحرام، وحرمه من أطيب اللذات، وهما: الطيب والنساء، فكيف يريده متجرداً له، ثم يقيم له الحدائق الغناء، والأنهار العذبة، والطبيعة الفاتنة التي ستلهيه عن ذكر الله، ولذلك ساعد الله عباده بأن جعلها بواد غير ذي زرع لكي لا يشغل أنظارهم وأفئدتهم سحر الطبيعة الغناء، فيكون القصد خالصاً لوجهه الكريم.
والإخلاص لله تعالى مطلوب في كل الأعمال والأحوال، ومن ذلك في شعيرة الحج، ولا بد أن يصحب الإخلاصَ صوابُ العمل، ومن صوابه في رحلة الحج أن يكون الحج من مالٍ حلالٍ، وقد جسد هذا المعنى أبو الشمقمق فقال: [30]

إذا حججتَ بمالٍ أصله دنسٌ
فما حججتَ ولكنْ حجت العيرُ
ما يقبل اللهُ إلا كـــــلَّ طيبةٍ
ما كلّ من حجَّ بيت الله مبرور

خامساً: ومكة بعيدة عن مراكز الحضارة في بلاد فارس والروم، وأهلها أميون، وكان بعض العرب يدفعون الضرائب للأمم الأخرى اتقاء لشرها، فكيف يعقل أن تخرج

[30] - المستطرف، للأبشيهي، (21/1)، مكتبة الحياة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شريعة ذات قوانين تعلم الناس قواعد الحضارة والتعايش السلمي من قلب الصحراء؟ إنها النبوة ولا احتمال غير هذا، وخروج الشيء من غير موضعه المعتاد أظهر لقدرة الله تعالى، ودليل على أن معجزة ما قد حصلت، وقد أقر بهذا هرقل عظيم الروم في حديثه مع أبي سفيان، وذكر بأن محمداً هو نبي آخر الزمان، وهذا من فضل الله على أهلها والعرب، قال تعالى يتحدث عن النقلة النوعية للعرب بفضل الإسلام: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (الجمعة:2).

سادساً: وإذا كانت مكة في بلد غير ذي زرع، فهذا قد يقتضي جوع أهلها، ولكن أنى يجوعوا وقد دعا لهم إبراهيم عليه السلام بالرزق، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (البقرة:126)، وهذا الدعاء معجزة باقية متحققة إلى يوم القيامة، والبلد الفقير لا تكاد تجد فيه ما يسد الرمق، ولكن الله هيأ لأهلها أسباب الرزق والتجارة، فلا تعدم شيئاً إلا وجدته بمكة، أليس هذا دليلا على فضل الله ورعايته لأهلها؟

سابعاً: وأما ماء زمزم فهو الشفاء لكل داء بإذن الله تعالى، وهو أمر مجرب، قال الشاعر:

يا منْ يعاني ... همه الأســـــــقامُ
وتذيقه مرَّ الأسى الأيـــــــــــامُ
اهرعْ لزمزم فارتشفْ من بيرها
تلقى المنى .. وكـــأنكَ الضرغامُ
والله قدْ جعلَ الشفاءَ بمائِهـــــــا
فتحققتْ من فضلهِ الأحـــــــلامُ

وبقاؤه حتى يومنا هذا دليل على الكرم الإلهي الذي لا ينفد، ويندر أن تجد بئراً في الصحراء لا تنضب عبر آلاف السنين مع شرب الألوف منها.

ثامناً: وأثبت العلم الحديث أن مكة مركز للأرض، ولما كانت مركزاً استحقت أن تكون قبلة لأهلها أيضاً، وقد نشرت مجلة العلم والإيمان الليبية مقالات عدة بهذا الخصوص[31].

[31] -انظر أيضاً: قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وضوابط التعامل معها، د. زغلول النجار، ص (180)، دار نهضة مصر، ط2، 2006م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فطوبى لأمة هذه بعض مزايا قبلتها، وطوبى لمن سكن بلدة هذه بعض خصائصها، وطوبى لمن زارها حاجاً أو معتمراً يطلب عفو الله وغفرانه إلى يوم الدين.

والخلاصة أن مكة المكرمة خصها الله تعالى بخصائص عدة، وموقع جغرافي مميز، فمن ذلك **وجودها بين الجبال جعلها في مأمن من الزلازل ونحوها، وكون مكة قريبة من البحر،** فلا تبعد عن جدة أكثر من ثمانين كيلو متراً، وهذا يسهل الوصول إليها عبر البر والبحر، ومناخ **مكة حار في نصف العام ومعتدل في نصفه الآخر،** وهذا الجو يتناسب مع ملابس الإحرام، و**جعلها الله في واد غير ذي زرع،** حتى يقصدها الحاج مخلصاً لله تعالى، **ومكة بعيدة عن مراكز الحضارة في بلاد فارس والروم،** وأهلها أميون، فكيف يعقل أن تخرج شريعة ذات قوانين تعلم الناس قواعد الحضارة والتعايش السلمي من قلب الصحراء؟ إنها النبوة ولا احتمال غير هذا، **وإذا كانت مكة في بلد غير ذي زرع،** فهذا قد يقتضي جوع أهلها، ولكن أنى يجوعوا وقد دعا لهم إبراهيم عليه السلام بالرزق، **وأما ماء زمزم فهو الشفاء لكل داء بإذن الله تعالى،** وهو أمر مجرب، **وأخيراً فقد أثبت العلم الحديث أن مكة مركز للأرض،** ولما كانت مركزاً استحقت أن تكون قبلة لأهلها أيضاً، وهذا من فضل الله على العالمين.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الرابع:

المجرات تشهد بعظمة الخالق
صور من الإعجاز العلمـــــي

مقدمة

السماء من أعظم آيات الله تعالى!، لفتنا الله إلى بعض ما فيها من آثار حكمته وبديع قدرته، مما يشهد له بالوحدانية، ولنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالرسالة.

ومن أعظم آياتها: الشمس والقمر اللذان يملآن الأرض ضياء ونورا في الليل والنهار، قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (سورة فصلت: الآية37).

ومن آياتها أيضاً: هذه النجوم التي تسبح في مسارات محددة في السماء، قال تعالى: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) (سورة الواقعة: الآيتان75-76). وأعداد النجوم هائلة، إذ "يدلنا علم الفلك على أن عدد نجوم السماء مثل عدد ذرات الرمال الموجودة على سواحل البحار في الدنيا كلها ، منها ما هو أكبر بقليل من الأرض ولكن أكثرها كبير جدا حتى يمكن أن نضع في واحد منها ملايين النجوم في مثل حجم الأرض التي نعيش عليها ولسوف يبقى فيه مع ذلك مكان خال! !" [32]

ومن آياتها أيضاً هذه الكواكب الساطعة، قال تعالى: (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (سورة الصافات: الآية6).

وفي الحديث عن المجرات سوف نستعرض بعض صور الإعجاز العلمي التي تتعلق بآيات الله في السماء، وذلك فيما يتعلق بمواقع النجوم، وتوسع الكون.

أ- المجوعة الشمسية

نعيش ـ نحن البشر ـ على هذه الأرض التي تنتمي للمجموعة الشمسية[33]، والأرض والمجموعة الشمسية المؤلفة من الشمس وما يدور حولها من كواكب تنتمي إلى المجرة، والكواكب التي تدور حول الشمس تسعة رئيسية، وتقسم إلى مجموعتين: المجموعة الأولى: الكواكب الداخلية وهي: عطارد والزهرة والأرض والمريخ، وتتميز بأنها صغيرة الحجم ومؤلفة بشكل رئيسي من الصخر والحديد، والمجموعة

---

[32] ـ من كتاب الإسلام يتحدى.

[33] ـ هذا المبحث في الأصل مقالة نشرتها في مجلة منار الإسلام.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الثانية: الكواكب الخارجية، وهي: المشتري وزحل وأورانوس ونبتون وبلوتون) وتتميز بأنها كبيرة الحجم ومؤلفة بشكل رئيسي من الهيدروجين والهليوم والجليد.

ب ـ من خصائص المجموعة الشمسية

تدور كواكب المجموعة الشمسية حول الشمس، وتدور حولها الأقمار، "وأقرب حركة منا هي حركة القمر التي تبعد عنا (240.000) ميلا ، وهو يدور حول الأرض ويكمل دورته في مدة تسعة وعشرين يوما ونصف يوم. وكذلك تبعد أرضنا هذه عن الشمس (93.000.000) ميلا وهى تدور في محورها بسرعة ألف ميل في الساعة في دائرة (190.000.000) ميلا وتستكمل هذه الدائرة مرة واحدة في سنة كاملة. وكذلك توجد تسعة كواكب مع الأرض وكلها تدور حول الشمس بسرعة فائقة. وأبعد هذه الكواكب السيار (بلوتو) الذي يدور في دائرة (7.500.000.000) ميلا حول الشمس، وحول هذه الكواكب يدور واحد وثلاثون قمرا أخرى، وتوجد غير هذه الكواكب حلقة من ثلاثين ألفا من (النجيمات) وآلاف من النجوم ذوات الأذناب ، وشهب لا حصر لها ، وكلها تدور وفى وسطها ذلك السيار العملاق (الشمس) وقطرها (865.000) ميلا وهى أكبر من الأرض (1.200.000) مرة!. ثم إن هذه الشمس ليست بثابتة أو واقفة في مكان ما وإنما هي بدورها مع كل هذه السيارات والنجيمات تدور في النظام الرائع بسرعة (600.000) ميلا في الساعة".[34]

ت ـ دوران الأرض حول الشمس

تعتبر "حركة الأرض حول الشمس منضبطة تمام الانضباط بحيث لا يمكن أن يحدث أدنى تغير في سرعة دورانها حتى بعد مرور قرن من الزمان. وهذا القمر الذي يتبع في حركته الأرض يدور في فلك مقرر ومنضبط مع تفاوت يسير جدا ، يتكرر بعد كل ثمانية عشر عاما ونصف عام بدقة فائقة ، وتلك هي حال جميع الأجرام السماوية".[35]

ث- المجرة galaxy

نود أن نقدم تعريفا للمجرة بإيجاز لنتعرف على عظمة الخالق المبدع الكبير، فهذه الكلمة جمعها مجرات، وكانت تدل على سكة التبانة، أما حديثا فتستخدم للدلالة أيضا على المجموعات النجومية الأخرى، وكلمة المجرة معرفة تعني سكة التبانة أيضا.

والمجرة تحتوي على ملايين النجوم والكواكب، حيث "يدلنا علم الفلك على أن عدد نجوم السماء مثل عدد ذرات الرمال الموجودة على سواحل البحار في الدنيا كلها ، منها ما هو

---

[34] ـ من كتاب الإسلام يتحدى.

[35] ـ من كتاب الإسلام يتحدى.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أكبر بقليل من الأرض ولكن أكثرها كبير جدا حتى يمكن أن نضع في واحد منها ملايين النجوم في مثل حجم الأرض التي نعيش عليها ولسوف يبقى فيه مع ذلك مكان خال !"[36]، وهنالك أعداد كبيرة من المجرات كما سنذكر بعد قليل، وهذا كله في السماء الدنيا، التي قال الله عنها: (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ) (سورة الملك: لآية5). فما أعظم هذا الكون العظيم!، الذي يشهد بعظمة الخالق العظيم.

ج - مجرتنا

سماها بطليموس درب اللبانة، وتسميتنا بالعربية العامية درب التبانة، وهي للدلالة على هذا النظام الخارجي المضيء في الفضاء، وهذا المنظر بالغ في الجمال، وهو غني بالنجوم المرصعة له، ولا سيما في بعض المناطق كمنطقة نعيم، ومنطقة الدجاجة، ومنطقة العقرب الرامي. وهي مجموعة نجومية تنتمي إليها المجموعة الشمسية ومعها الأرض وحوالي 100بليون نجم آخر، وكذلك كميات كبيرة من مادة ما بين النجوم. ومن النجوم ما هو منفرد أو مزدوج، وما هو عديد، كما أن النجوم تكون كذلك حشودا نجومية، جميع هذه الأجسام تكون ما يشبه قرصا له نواة مركزية تزيد فيها كثافة النجوم عن مناطق الحافة.

ح - موقع الشمس في المجرة

تتواجد الشمس وما يتبعها من الكواكب داخل مجرة سكة التبانة بالقرب من مستوى التماثل أو مستوى المجرة، ولكن إلى الخارج بعيدا عن النواة، وترى جميع النجوم من الأرض مسقطة على الكرة السماوية، الشيء الذي يتسبب في ظاهرة سكة التبانة الضوئية المعروفة.

خ - حركة الشمس داخل المجرة

تقوم الشمس بحركة ظاهرية تنشأ من دوران الأرض حول محورها من ناحية وفي مدارها على هيئة قطع ناقص حول الشمس من ناحية أخرى (الحركة المدارية) بالإضافة إلى ذلك فإن الشمس تقوم بحركة حقيقية في مجموعة سكة التبانة، وتتكون الحركة الحقيقية من جزئين: حركة بالنسبة للنجوم الثوابت القريبة وحركة دوران بالنسبة لمركز مجرة سكة التبانة.

فبالنسبة للحركة الأولى تتحرك الشمس بالنسبة للنجوم الثوابت القريبة بسرعة 19,4كم/ث وبذلك فإنها تقطع في العام ضعف قطر مدار الأرض، واتجاه أو هدف هذه الحركة مستقر الشمس وهو موجود في كوكبة الجاثي.

---

[36] - من كتاب الإسلام يتحدى.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأما الحركة الثانية فتشارك الشمس مع النجوم القريبة في الدوران حول مركز المجرة، وفي ذلك تبلغ سرعتها 250كم/ث وتصنع دورة كاملة حول المركز في 250مليون سنة، وبسبب قوة كبر جاذبية الشمس فإن المجموعة الشمسية تتماسك مع بعضها وتشارك في هذه الحركة.

د ـ دوران الشمس

تدور الكرة الشمسية حول نفسها أيضا، أي إنها تدور حول محور يصل بين قطبيها وعموديا على محور الدوران يوجد مستوى الاستواء الشمسي، الذي يميل على مستوى الاستواء الأرضي بحوالي7,15ْ ويحدث دوران الشمس حول نفسها في نفس اتجاه دوران الأرض وفي نفس اتجاه حركتها في مدارها حول الشمس، وهو يوافق حركة الإلكترونات حول البروتونات في الذرة والجميع بعكس عقارب الساعة، مما يدل على وحدة النظام في الخلق ووحدة الخالق سبحانه وتعالى، وجدير بالذكر أن طواف المسلمين حول الكعبة هو بعكس عقارب الساعة وبذلك اتسقت حركة المؤمن مع حركة الأرض والأجرام السماوية والذرات التي تكونت منها مادة تلك الأجرام في تناسق عجيب يشهد بعظمة الخالق عز وجل.

ذ ـ حجم مجرتنا

كان من المعتقد في الماضي بأن مجرتنا ضخمة فوق العادة، إلا أن هذا الوهم قد تلاشى، صحيح أن حجمها فوق المعدل، لكن من الأكيد أن هناك أنظمة أخرى معروفة تفوقها حجما منها لولبة المرأة السلسلة.

ر ـ عدد المجرات

لا توجد أرقام دقيقة حول عدد المجرات، فهناك من يذهب إلى أن درب اللبانة واحدة من مئة مليار من المجرات المشابهة الواقعة في مجال رؤية التلسكوبات الكبيرة الحديثة.

وينقل الأستاذ وحيد خان عن بعض علماء الفلك إحصاءات أخرى، يقول: "وهناك آلاف من الأنظمة غير هذا النظام الشمسي ، يتكون منها ذلكم النظام الذي نسميه (مجاميع النجوم)، أو المجرات، وكأنها جميعا طبق عظيم تدور عليه النجوم والكواكب منفردة ومجتمعة، كما يدور الخذروف الذي يلعب به الأطفال.. ومجرات النجوم هذه تتحرك بدورها أيضا، والمجرة التي يقع فيها نظامنا الشمسي تدور على محورها بحيث تكمل (دورة واحدة) في(200.000.000) سنة ضوئية.

ويقدر علماء الفلك أن هذا الكون يتألف من خمسمائة مليون من مجاميع النجوم مضروبا هذا العدد في (500.000.000.000.000) من الملايين وفي كل مجموعة منها يوجد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(مائة مليار) من النجوم ، أو أكثر أو أقل ويقدرون أن أقرب مجموعة من النجوم وهي التي نراها في الليل كخيوط بيضاء دقيقة تضم حيزا مداه ألف سنة ضوئية. ونحن ـ سكان الأرض- نبعد عن مركز هذه المجموعة بمقدار ثلاثين ألف سنة ضوئية، وهذه المجموعة جزء من مجموعة كبيرة تتألف من سبع عشرة مجموعة، وقطر هذه المجموعة الكبيرة (ذات السبع عشرة) مليونان من السنين الضوئية".[37]

وأياً كان عدد المجرات فهي أرقام فلكية تدل أولا وآخرا على عظمة الله تعالى، وعلى سذاجة الإنسان وضآلته أمام خلق السماوات والأرض، ومع هذا فهو يتمرد على منهج الله برغم ضعفه وضآلته!!، قال تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (سورة الزمر: الآية67).

ز ـ العناقيد

تتجمع المجرات في كتل تسمى عادة عناقيد، ويحتوي بعضها على مئات الأعضاء، أما مجرتنا فهي عضو في أحد هذه الأنظمة المعروفة إجمالا بالمجموعة المحلية.

س ـ حركة المجرات ومواقع النجوم

من المسلم به إجمالا أن الكون يتمدد، وأن جميع المجرات خارج المجموعة المحلية تنحسر مبتعدة بسرعات مختلفة، ولكن أعضاء المجموعات المحلية ذاتها لا تبتعد عن مجرتنا، والمجرات كلها تسبح في السماء، وربما تداخلت مجموعة من المجرات أو ما يطلق عليه اسم العناقيد مع مجموعة أخرى تسبح في السماء أيضا، ثم تنسحب كل مجموعة بنجومها دون أن يحدث أي تخلخل في نظام العناقيد السماوية أو أي تصادم بين النجوم، مما يدل على أن مواقع النجوم من أكثر الأشياء دقة في نظام الكون، ولذلك أقسم الله سبحانه بمواقع النجوم فقال عز وجل: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) وعقب على قسمه بقوله: (وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) (الواقعة/75-76).

أمر آخر يحسن التنبيه إليه، وهو أن الضوء المنبعث من النجوم لا نراه مباشرة، بل يحتاج إلى وقت ربما يمتد إلى عشرات السنين الضوئية ليصلنا أو أكثر أو أقل بحسب بعد النجم عن أرضنا، فحين نرى الضوء يكون النجم قد غادر موقعه إلى موقع آخر، وعليه فنحن لا نرى النجوم، وإنما نرى مواقعها، فمن يدرك هذه المعلومة في عصر الوحي غير الله الذي خلق السماوات والأرض!.

ش ـ سعة الكون وتمدده

---

[37] ـ من كتاب الإسلام يتحدى.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكون الذي نعيش فيه واسع جدا، وهو بالإضافة إلى ذلك يتوسع ويتمدد باستمرار، هذا ما أكده العلم الحديث، إذ "إن كوننا هذا فسيح جدا، ولكي نفهمه نتصور طائرة خيالية تسير بسرعة (186.000) ميلا في الثانية الواحدة، وأن هذه الطائرة الخيالية تطوف بنا حول الكون الموجود الآن. إن هذه الرحلة الخيالية سوف تستغرق (1000.000.000) سنة ، يضاف إلى ذلك أن هذا الكون ليس بمتجمد، وإنما هو يتسع كل لحظة حتى إنه بعد (1.300.000.000) سنة تصير هذه المسافات الكونية ضعفين ! ! وهكذا لن تستطيع هذه الطائرة الخارقة في سرعتها الخيالية أن تكمل دورانها حول هذا الكون أبدا ، وإنما سوف تظل تواصل رحلتها في نطاق هذا التوسع الدائم في الكون. عندما تكون السماء صافية نستطيع أن نرى بالعين المجردة خمسة آلاف من النجوم، ولكن هذا العدد يتضاعف إلى أكثر من (2.000.000) من النجوم حيث نستعمل تلسكوبا عاديا. وأقوى تلسكوب في العالم هو الذي يوجد في مرصد (ماؤنت بالومار) في الولايات المتحدة الأمريكية، ويستطيع أن يشاهد بلايين من النجوم. إن الفضاء الكوني فسيح جدا ، تتحرك فيه كواكب لا حصر لها بسرعة خارقة، بعضها يواصل رحلته وحده، ومنها أزواج تسير مثنى مثنى، ومنها ما يتحرك في شكل مجموعات. ولو أنك لاحظت ضوء الشمس الذي يدخل غرفتك من الشباك فسترى أن هناك ذرات كثيرة من الغبار تتحرك وتسير في الهواء، فلو استطعت أن تتخيل هذا في شكل أعظم لأمكنك أن تحظى من الفهم بشيء عن السيارات والكواكب في الكون، مع الفرق الهائل المتمثل في أن ذرات الغبار تتحرك ويتصادم بعضها مع بعض، ولكن الكواكب مع كثرتها يواصل كل واحد منها سفره على بعد عظيم يفصله عن الكواكب الأخرى. ومثلها مثل بواخر عديدة تمشى في أعالي البحار متباعدة حتى إن إحداها لا تعرف شيئا عن الأخرى. إن هذا الكون يتألف من مجموعات كثيرة من الكواكب والنجوم، تسمى (مجاميع النجوم) وكلها تتحرك دائما".[38]

وقد أشار القرآن إلى ذلك قبل أن يعرف الناس هذه الحقيقة، قال تعالى في هذا الصدد: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) (الذاريات/47)، فكل هذه المجرات التي تحتوي على النجوم التي تتبعها الكواكب، والكواكب التي تتبعها الأقمار هي بمثابة مصابيح للسماء الدنيا، وقد خلق الله سبع سماوات طباقا، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا، وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا) (سورة نوح: الآيتان15-16). ونسبة كل سماء إلى الأخرى كحلقة في فلاة، ومن فوقها الكرسي الذي وسع السماوات والأرض، ومن فوقه العرش، والله بكل شيء محيط، وعالم العرش لا يعلمه إلا الله، وفيه كنوز، وحوله قناديل معلقة تأوي إليها أرواح الشهداء، ولا يعلم عدد هذه القناديل إلا الله، وذكر بعضهم أن السماوات والأرض كلها في قنديل واحد معلق تحت العرش، ويحمل العرش ثمانية صفوف من الملائكة لا

[38] - من كتاب الإسلام يتحدى.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يعلم عددهم إلا الله، يقول النبي عليه السلام في وصف أحد الملائكة من حملة العرش: (أذن لي أن أحدث عن مَلَكٍ من ملائكة الله من حملة العرش، أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة) رواه أبو داود[39]. فلنعرف حجمنا نحن أبناء آدم، ولنعرف أن الكوكب الذي نعيش عليه يكاد يكون لا حجم له في هذا الكون إذا ما قيس بغيره!، يقول النبي عليه السلام: (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء!) رواه الترمذي[40].

فلنتواضع لله في عصر العلم والمعرفة، ولتدفعنا العلوم إلى الإخبات للخالق العظيم، فنحن بالرغم من كل ما توصلنا إليه لم نؤت من العلم إلا قليلا.

[39] - الجامع الصغير، (458/1). وقال المناوي في فيض القدير: (ورواه الطبراني في الأوسط).
[40] - الجامع الصغير، (328/5). وقال المناوي في فيض القدير: (ورواه ابن ماجه أيضاً... ورواه عنه الحاكم).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الخامس:

كروية الأرض حقيقة علمية أشار إليها القرآن الكريم، وأكدها العلماء المسلمون في بحوثهم الجغرافية

من الحقائق الجغرافية الثابتة: كروية الأرض، وهو أمر لم تكن العرب تعرفه أو تقول به، وليس هناك أية إشارة في تراث العرب قبل الإسلام تشير إلى هذا الأمر، وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل ـ بصورة غير مباشرة ـ على أن الأرض كرة، وقد صرح علماء المسلمين في تفسيرهم لآي القرآن بذلك، مما يعكس تناغماً وانسجاماً بين معارف الوحي وحقائق العلم.

أولاً: دعوة الإسلام للتفكر والبحث

إن من مزايا القرآن الكريم دعوته إلى التفكر في خلق السماوات والأرض[41]، لاكتشاف السنن الكونية ومعرفة الحقائق العلمية التي تقود العقل البشري إلى معرفة الخالق المبدع العظيم لهذا الكون، وقد نعت الله عباده المؤمنين بأنهم: (...وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ويقودهم هذا التفكير إلى الإقرار بأن وراء هذا التنظيم الدقيق للكون غاية وهدف: (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (سورة آل عمران، الآية 191).

والهدف من هذا كما هو معلوم هو موافقة السلوك الإنساني للإرادة الإلهية، والإستجابة لنداء الخالق المبدع وحده لا شريك له، الذي تلهج إليه ألسن المؤمنين بأن يجنبهم من العذاب الخالد، ويرزقهم السعادة الأبدية.

ثانياً: دور علماء المسلمين في اكتشاف المعرفة

وقد قام العلماء المسلمون بدورهم الإجابي في هذا الإطار، فتفكروا في خلق السماوات والأرض، وأسهموا في تطوير علم الفلك وعلم الجغرافيا وغيرهما من العلوم، رغم صعوبة البحث وقلة الأدوات في العصور القديمة. وقد وضعوا تصورا لشكل الأرض والسماء ينسجم ومعطيات العلم الحديث، مما يعد سبقا لهم في هذا الميدان، وهذه حقيقة لا مراء فيها. والحقيقة الأخرى هي أن العلماء المسلمين في بحوثهم هذه دفعوا أي شبهة في تناقض العقل مع الدين، فما أثبته علماء الكون من حقائق ينسجم مع نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، وهذا يدل على أن مصدر الدين والمعرفة هو واحد؛ وهو الله عز وجل.

---

[41] ـ أصل هذا البحث نشر بعنوان كروية الأرض حقيقة علمية، في مجلة عالم الفلك التي صدرت بأبو ظبي، العدد الخامس، شباط (فبراير) 2000م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثالثاً: شهادة العلماء الغربيين على نزاهة البحث العلمي عند المسلمين

لقد أقر المنصفون من الباحثين الغربيين بأن الإسلام دين العلم والمعرفة، وأن البحث العلمي له مرتبته في الدين الحنيف، **من ذلك ما ذكرته زيغريد هونكة في هذا الصدد مشيدة بموقف الإسلام من العلم،** وهو: "استعداد النبي بالوحي، وعبر الهداية الدينية الخاصة والعالمية، لا لقبول المعرفة البشرية العقلانية فقط، بل والحث عليها، حتى إن مداد طالب العلم ارتفع إلى درجة التقديس، وأصبح بمثابة دماء الشهداء، هذا بدلا من حشر المؤمنين في حيز عقائدي ضيق بعيدا عن المتنفس كما فعلت المسيحية"[42].

وفي الإطار ذاته يقول الأستاذ موريس بوكاي: "علينا أن نعترف بأن العلماء قد لاقوا مصاعب جمة من السلطات الدينية لبعض الأديان، ففي الوسط المسيحي وعبر قرون كثيرة بادرت سلطات مسئولة ودون الاعتماد على أي نصوص حقيقية للكتب المقدسة بمعارضة تطور العلوم، اتخذت هذه السلطات ضد العلماء الذين كانوا يحاولون تطوير العلوم الإجراءات التي نعرفها، تلك التي دفعت بعض العلماء إلى المنفى تلافيا للموت حرقا، أو إلى طلب المغفرة بتعديل مواقفهم وبالتماس العفو...أما في الإسلام فعموماً كان الموقف إزاء العلم مختلفاً، إذ ليس هناك أوضح من ذلك الحديث الشهير للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي يقول: (اطلب العلم ولو في الصين). أو ذلك الحديث الذي يقول: (إن طلب العلم فريضة على كل مسلم وكل مسلمة). هناك أمر رئيسي: القرآن كما سنرى فيما بعد في هذا الجزء من الكتاب إلى جانب أنه يدعو إلى المواظبة على الاشتغال بالعلم، فإنه يحتوي أيضا على تأملات عديدة خاصة بالظاهرات الطبيعية، وبتفاصيل توضيحية تتفق تماما مع معطيات العلم الحديث، وليس هناك ما يعادل ذلك في التوراة والإنجيل"[43].

رابعاً: كروية الأرض عند علماء المسلمين

هذا أحد الموضوعات التي تظهر واقعية علماء المسلمين وإقرارهم بما يقتضيه العقل، **فلقد أكد العلماء المسلمون أن الأرض كرة، ووافقوا ما قاله العقل والمنطق في هذا الصدد، وفسروا الآيات القرآنية بما يوافق الحقائق العلمية، من ذلك:**

أـ ما ذكره الرازي في تفسير قوله تعالى: (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) (سورة النازعات، الآية 30). مشيراً إلى كروية الأرض: "كانت الأرض أولاً كالكرة المجتمعة، ثم إن الله تعالى مدها وبسطها، وليس معنى (دحاها) مجرد البسط، بل المراد أنه بسطها بسطاً مهيأً

---

[42] ـ العقيدة والمعرفة، ص (117).

[43] ـ دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص (140). دار المعارف، الطبعة الرابعة، 1977م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لنبات الأقوات، يدل عليه قوله: (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا) (سورة النازعات، الآية31) والجسم العظيم يكون ظاهره كالسطح المستوي.."[44].

ب ـ ويقول ياقوت الحموي بعد أن نقل آراء العلماء في صفة الأرض:"وأصلح ما رأيت في ذلك، وأسده في رأيي، ما حكاه محمد بن أحمد الخوارزمي، قال: الأرض في وسط السماء، والوسط هو السفل بالحقيقة، والأرض مدورة بالكلية، مضرسة بالجزئية من جهة الجبال البارزة، والوهدات الغائرة، ولا يخرجها ذلك من الكرية"[45].

ويبين ياقوت أن الأرض مقسومة قسمين بواسطة خط الاستواء، حيث يقول: "وقال أبو الريحان ـ أي البيروني ـ : وسط معدل النهار يقطع الأرض بنصفين، على دائرة تسمى خط الاستواء، فيكون أحد نصفيها شمالياً، والآخر جنوبياً"[46].

ت ـ فإذا انتقلنا إلى الإمام ابن تيمية وجدنا له عناية عظيمة بوضع الأرض وصورة الأفلاك، ففي البداية يقرر أن الأفلاك مستديرة، وأن الفلاسفة أصابوا في استدارة الأفلاك، وأخطأ من خالفهم من المتكلمين[47]**، وينص ابن تيمية على كروية الأرض فيقول:** "اعلم أن الأرض قد اتفقوا على أنها كروية الشكل، وهي في الماء المحيط بأكثرها؛ إذ اليابس السدس وزيادة بقليل، والماء ـ أيضًا ـ مقبب من كل جانب للأرض، والماء الذي فوقها بينه وبين السماء كما بيننا وبينها مما يلى رؤوسنا، وليس تحت وجه الأرض إلا وسطها ونهاية التحت المركز ؛ فلا يكون لنا جهة بينة إلا جهتان: العلو والسفل، وإنما تختلف الجهات باختلاف الإنسان؛ فعلو الأرض وجهها من كل جانب، وأسفلها ما تحت وجهها ـ ونهاية المركز ـ هو الذي يسمى محط الأثقال، فمن وجه الأرض والماء من كل وجهة إلى المركز يكون هبوطًا، ومنه إلى وجهها صعودًا، وإذا كانت السماء الدنيا فوق الأرض محيطة بها فالثانية كُرِّية، وكذا الباقي. والكرسي فوق الأفلاك كلها، والعرش فوق الكرسي، ونسبة الأفلاك وما فيها بالنسبة إلى الكرسي كحلقة في فَلاة، والجملة بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة .

والأفلاك مستديرة بالكتاب والسنة والإجماع، فإن لفظ [الفلك] يدل على الاستدارة، ومنه قوله تعالى: (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) (يس:40)؛ قال ابن عباس: في فلكة كفلكة المغزل، ومنه قولهم: تَفَلَّكَ ثدي الجارية: إذا استدار. وأهل الهيئة والحساب متفقون على ذلك"[48].

ث ـ ويثبت ابن تيمية ـ بالعقل وحده ـ أنه ليس أحد على سطح الكرة الأرضية فوق أحد، بمعنى أن الذي هو في النصف الشمالي ليس تحت الذي يكون في النصف

---

[44] ـ صفوة التفاسير، للصابوني، (515/3).

[45] ـ معجم البلدان، (17/1)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1399هـ/1979م.

[46] ـ معجم البلدان، (18/1).

[47] ـ مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي (334/17-335). (مصورة عن الطبعة الأولى).

[48] ـ مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي (150/5).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجنوبي من الكرة الأرضية، ولا العكس أيضاً، يقول: "وليس أحد جانبي الفلك تحت الآخر، ولا القطب الشمالي تحت الجنوبى، ولا بالعكس.
وإن كان الشمالي هو الظاهر لنا فوق الأرض وارتفاعه بحسب بعد الناس عن خط الاستواء، فما كان بعده عن خط الاستواء ثلاثين درجة مثلاً كان ارتفاع القطب عنده ثلاثين درجة، وهو الذي يسمى عرض البلد، فكما أن جوانب الأرض المحيطة بها، وجوانب الفلك المستديرة، ليس بعضها فوق بعض، ولا تحته، فكذلك من يكون على الأرض من الحيوان أوالنبات أوالأثقال، لا يقال: إنه تحت أولئك، وإنما هذا خيال تخيله الإنسان، وهو تحت إضافي؛ كما لو كانت نملة تمشي تحت سقف؛ فالسقف فوقها، وإن كانت رجلاها تحاذيه، وكذلك من علق منكوساً فإنه تحت السماء، وإن كانت رجلاه تلي السماء، وكذلك يتوهم الإنسان إذا كان في أحد جانبي الأرض، أو الفلك، أن الجانب الآخر تحته، وهذا أمر لا يتنازع فيه اثنان، ممن يقول: إن الأفلاك مستديرة. واستدارة الأفلاك ـ كما أنه قول أهل الهيئة والحساب ـ فهو الذي عليه علماء المسلمين، كما ذكره أبو الحسن بن المنادي، وأبو محمد بن حزم، وأبو الفرج بن الجوزي وغيرهم أنه متفق عليه بين علماء المسلمين، وقد قال تعالى:(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)(الأنبياء:33)، قال ابن عباس: فلكة مثل فلكة المغزل. والفلك في اللغة: هو المستدير، ومنه قولهم: تفلك ثدي الجارية إذا استدار، وكل من يعلم أن الأفلاك مستديرة يعلم أن المحيط هو العالي على المركز من كل جانب، ومن توهم أن من يكون في الفلك من ناحية يكون تحته من في الفلك من الناحية الأخرى في نفس الأمر، فهو متوهم عندهم.
وإذا كان الأمر كذلك، فإذا قدر أن العرش مستدير محيط بالمخلوقات كان هو أعلاها، وسقفها ـ وهو فوقها ـ مطلقا، فلا يتوجه إليه، وإلى ما فوقه الإنسان إلا من العلو، لا من جهاته الباقية أصلا"[49].

ج ـ والأمر بالنسبة للكواكب كالأمر بالنسبة لمن يكون في شمال أو جنوب الكرة الأرضية، فليس أحد منها تحتنا، والآخر فوقنا، بل جميعها فوقنا في السماء، يقول ابن تيمية: "والكواكب التي في السماء ـ وإن كان بعضها محاذيا لرؤوسنا، وبعضها في النصف الآخر من الفلك ـ فليس شيء منها تحت شيء، بل كلها فوقنا في السماء"[50].

ح ـ ويستشهد ابن تيمية فيما ذهب إليه من تصور حول هيئة الأرض والكواكب والنجوم من حولها برأي لأحد أصحاب الإمام أحمد، يقول: "وقال الإمام أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي ـ من أعيان العلماء المشهورين بمعرفة الآثار والتصانيف الكبار في فنون العلوم الدينية من الطبقة الثانية من أصحاب أحمد ـ: لا خلاف بين العلماء أن السماء على مثال الكرة، وأنها تدور بجميع ما فيها من الكواكب كدورة الكرة على

---

[49] ـ مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي (566/6).
[50] ـ مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي (197/25).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قطبين ثابتين، غير متحركين: أحدهما في ناحية الشمال، والآخر في ناحية الجنوب. قال: ويدل على ذلك أن الكواكب جميعها تدور من المشرق تقع قليلا على ترتيب واحد في حركاتها،ومقادير أجزائها إلى أن تتوسط السماء، ثم تنحدر على ذلك الترتيب، كأنها ثابتة في كرة تديرها جميعها دوراً واحداً. قال: وكذلك أجمعوا على أن الأرض بجميع حركاتها من البر والبحر مثل الكرة. قال: ويدل عليه أن الشمس والقمر والكواكب لا يوجد طلوعها وغروبها على جميع من في نواحي الأرض في وقت واحد، بل على المشرق قبل المغرب. قال: فكرة الأرض مثبتة في وسط كرة السماء، كالنقطة في الدائرة، يدل على ذلك أن جرم كل كوكب يرى في جميع نواحي السماء على قدر واحد، فيـــدل ذلك على بعد ما بين السماء والأرض من جميع الجهات بقدر واحد، فاضطرار أن تكون الأرض وسط السماء"[51].

خ ـ ويستخدم ابن تيمية هذا التصور العقلاني لشكل الكون وكروية الأرض؛ وسيلة من أجل تفسير بعض النصوص الدينية، بحيث يتلاقى صحيح المعقول مع صحيح المنقول، فيقول: "وقد يظن بعض الناس أن ما جاءت به الآثار النبوية من أن العرش سقف الجنة، وأن الله على عرشه، مع ما دلت عليه من أن الأفلاك مستديرة متناقض، أو مقتض أن يكون الله تحت بعض خلقه ـ كما احتج بعض الجهمية على إنكار أن يكون الله فوق العرش باستدارة الأفلاك ـ وأن ذلك مستلزم كون الرب أسفل، وهذا من غلطهم في تصور الأمر، ومن علم أن الأفلاك مستديرة، وأن المحيط الذي هو السقف في أعلى عليين، وأن المركز الذي هو باطن ذلك وجوفه، وهو قعر الأرض، هو [سجين] و[أسفل سافلين] علم من مقابلة الله بين أعلى عليين، وبين سجين، مع أن المقابلة إنما تكون في الظاهر بين العلو والسفل، أو بين السعة والضيق؛ وذلك لأن العلو مستلزم للسعة، والضيق مستلزم للسفول، وعلم أن السماء فوق الأرض مطلقاً، لا يتصور أن تكون تحتها قط ـ وإن كانت مستديرة محيطة ـ وكذلك كلما علا كان أرفع وأشمل"[52].

خامساً: تأويل صحيح المنقول بما يوافق صحيح المعقول

وهذا التصور لوضع الأرض وهيئة الكون من حولها متفق عليه عند علماء المسلمين كما ذكر ابن تيمية، فالأرض كرة ولا ريب، ولذلك أوَّل العلماء قوله تعالى: (وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) (سورة الغاشية: الآية20). والذي يقتضي من حيث الظاهر أن الأرض مسطحة كما تبدو للعيان، وهذا هو سر الإعجاز في خلقها، فهي تبدو مسطحة مع أنها كرة في حقيقتها، وفي هذا الصدد قال المفسر الألوسي مبيناً معنى الآية وأنه يتوافق مع القول بكروية الأرض: "سفحاً بتوطئة وتمهيد وتسوية وتوطيد، حسبما

---

[51] ـ مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي (25/195-196).

[52] ـ مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي (25/196).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يقتضيه صلاح أمور أهلها، ولا ينافي ذلك القول بأنها قريبة من الكرة الحقيقية لمكان عظمها"[53].

سادساً: خاتمـــــة

هكذا نجد أن المعرفة الصحيحة تتوافق مع الدين الحنيف، وأن علماء الدين كانوا يقرون ويعترفون بما يثبته العقل ويقتضيه المنطق، مما جعل المعرفة العلمية بالكون تقطع أشواطاً كبيرة في ظل الحضارة الإسلامية المجيدة، التي اتحد فيها العلم والإيمان معاً في أخيلة العلماء وواقع الحياة!.

[53] - روح المعاني، (146/10)، دار الفكر، بيروت، (1398هـ/ 1978م).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث السادس:

ضوابط هامة في دراسة إعجاز القرآن الكريم

تـمـهيـد:

لما كانت دراسة الإعجاز من أهم الأمور التي يثبت بها صدق الوحي وتأكيد ربانية الرسالة، فقد كثرت دراسات الباحثين في هذا الصدد، وذلك بدوافع علمية أو عاطفية، يراد منها الذب عن معجزة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وقد اختلط الغث بالسمين، وتعددت المناهج وتداخلت، مما يقتضي تبيان بعض الضوابط في هذا الصدد، لكي يقوم الباحث الموضوعي والداعية إلى الله وهما مزودان بمنطق علمي صحيح، لا بالعواطف الهوجاء التي قد تضر أكثر مما تنفع!.

أولاً: ضوابط عامة للتعامل مع النص الديني

كثيرا ما يساء فهم النصوص الدينية، ومنها الحديث: (لقد جئتكم بالذبح!!)[54]، حيث يقع سوء الفهم والخلط من طرفين الأول وهو المؤمن بالنص بعيدا عن ملاباساته ومقارنته بالنصوص الأخرى، ومن قبل الرافضين للنص ممن يقفون في مواجهة مع الدين، ويستغلون مثل هذا النص للهجوم على الدين وأنه لا يؤمن بالرأي الآخر ...إلخ.
وهذا الحديث في فحواه من باب الترهيب والتحذير لقريش حتى يؤمنوا، ففي ظل الصراع الدموي والقمع والعنف الذي واجهت به قريش رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان لا بد له أن يحذرهم وبنذرهم، بأنهم سيجدون الهلاك إن عاجلا أو آجلا إذا كفروا بما جاء به.

<u>لذلك لا بد من آلية أو منهج علمي لفهم النص، ومن خصوصيات هذا المنهج:</u>

أ- وحدة النصوص، وذلك بأن تدرس كل مجموعة النصوص ذات الموضوع الواحد على حدة، وننظر إلى مجموع العلاقات فيما بينها، ثم ننظر في علاقاتها مع النصوص الأخرى، وحدود وعمق تلك العلاقات بما يتفق مع مقاصد الشريعة.
ولا شك أن اجتزاء النصوص الدينية وعدم النظر إليها كوحدة متكاملة يسبب أكبر مشكلة في فهم تلك النصوص، فالتشريع الإسلامي يشمل الدين والدنيا والحرب والسلام، فقراءة النصوص التي تنظم قواعد الحرب وآدابها، بمعزل عن النصوص التي تنظم حياة السلام؛ قد يوقع في الخلط وسوء الفهم.

---

[54] - السيرة النبوية لابن هشام، قدم لها طه عبد الرءوف سعد، (33/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ب- لا بد من فهم الظروف التي أحاطت بالنصوص، فهنالك ما يسمى أسباب النزول، ومعرفتها ضرورية جدا لفهم ملابسات نزول النص.

ت- معرفة اللغة العربية وإجادتها، فقراءة النص الديني بلغته الأصلية تزيل كثير من اللبس والغموض عنه، فهناك العام الذي يراد منه الخاص، وبعكسه الخاص الذي يراد منه العام، وهناك الترادف والمشترك والمبهم وغير ذلك، ومعرفة قواعد البلاغة العربية مهمة جدا لفهم القرآن الكريم، ولا بد من الإحاطة بالمجاز والكناية، وذلك لئلا نقع في الفهم الشكلي الذي يبتعد عن المضمون والهدف.

ث- لا بد من فهم فلسفة الحياة، فالحياة فيها السلم وفيها الحرب، ولا بد للدين الحق من أن ينظم قواعد الحياة في الحالتين، ولا يترك شئون الحرب ليدبرها الناس بأنفسهم، فيكون دينا ناقصا لا يصلح لواقع الحياة، وتنظيم الدين لقواعد الحرب والسلام كان بقصد الحفاظ على النوع الإنساني وتقليم أظافر الوحشية والعدوان لدى النفوس المريضة.

ج- معرفة السيرة النبوية وأحداث التاريخ، وتفسير أحداثه من زاوية موضوعية بعيدا عن التعصب بكافة أشكاله.

ح- لا بد من معرفة البيئة العربية التي ولد فيها الإسلام، فمعرفة البيئة العربية تساعد على فهم الجو العام الذي أحاط بالدعوة، وملاءمة تلك النصوص لحالة العرب الاجتماعية والبيئية بشكل عام، واتساع مفهومها لتلائم الإنسان حيث كان.

خ- الموضوعية التي تقتضي هجر الأسباب النفسية من حقد وكراهية، وهي أسباب قلما ينجو منها إنسان

ثانياً: شروط خاصة للتعامل مع تفسير كتاب الله عز وجل

قبل الخوض في البحث لابد من التفريق بين مصطلحي التفسير والتأويل، وقد عرض لذلك العلماء، قال الراغب: "الفَسْر : إظهار المعنى المعقول...والتفسير في المبالغة كالفسر، والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها، وفيما يختص بالتأويل، ولهذا يقال: تفسير الرؤيا وتأويلها"[55].

[55] - المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، مادة (فسر)، دار المعرفة، بيروت.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأما التأويل، فقد عرفه الراغب في قوله: "التأويل من الأوْل، أي الرجوع إلى الأصل، ومنه الموئل للموضع الذي يُرجع إليه، وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه علما أو فعلا"[56]

والناس اليوم لا يكادون يفرقون بين المصطلحين وكأنهما شيء واحد!.

وسوف نعرض هنا العلوم التي ينبغي على المفسر أن يلم بها، وصلة التفسير بالإعجاز، وآداب المفسر

أ- علوم التفسير

ولا بد لمفسر القرآن من علوم يبرع بها ويتعاطاها، وقد ذكر السيوطي خمسة عشر علما للتفسير، وهي الآتية:

1- اللغة، 2- النحو، 3- الصرف، 4- الاشتقاق، 5- علم المعاني، 6- علم البيان، 7- علم البديع، 8- علم القراءات. 9- علم أصول الدين، 10- أصول الفقه، 11- أسباب النزول والقصص، 12- الناسخ والمنسوخ، 13- الفقه، 14- الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم. 15- علم الموهبة[57].

وفي العصر الحديث اشترط العلماء شروطا جديدة للمفسر منها ما ذكره السيد محمد رشيد رضا وهي : علم أحوال البشر، والعلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن[58]

ولو تأملنا في هذه العلوم وجدنا أن نصفها تقريبا يدور حول اللغة وعلومها، وهذا يؤكد على أهمية العربية في فهم القرآن وتفسيره، فهي مفتاح القرآن بلا ريب، ولذلك جعل كثير من فقهاء المسلمين تعلم العربية فرضا على المسلمين، ومنهم الإمام ابن تيمية حيث قال: "...وأيضا فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لايتم الواجب إلا به فهو واجب"[59].

ب - قضية الإعجاز وصلتها بالتفسير .

لعل أهم قضية كانت تشغل علماء الأمة عبر العصور هي إعجاز القرآن، فالقرآن معجز بنظمه، ومفرداته، ومعانيه، وجمله، وهو معجز بأدائه، وترتيب حروفه، ونبراتها، ونغماتها، وجرسها، وهو معجز بتشريعه، وأخباره، وتأثيره، وغير ذلك.... وقد كان العلماء عند ما يتناولون القرآن بالبحث والدراسة يحاولون أن يعرفوا أسرار الإعجاز، أو دلائله، وكتبوا في ذلك كثيرا، واستمرت الكتابة حتى العصر الحديث. والقضية الأولى في إعجاز القرآن هي في لغته وبيانه، قال الإمام الخطابي: "واعلم أن

---

[56] - المصدر السابق، مادة (أول).

[57] - انظر: الإتقان في علوم القرآن، (2/231-232).

[58] - انظر: تفسير المنار، (1/20-21) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972م.

[59] - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق عصام حرستاني وزميله، ص (242).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف متضمنا أصح المعاني"[60]

وقد أسهمت قضية إعجاز القرآن بتنشيط عملية التأويل للنص القرآني عبر العصور، واحتلت مكانا هاما في تفسير الزمخشري ومن تلاه من المفسرين حتى يومنا هذا[61].

ت- آداب المفسر

لا بد للمفسرمن جملة آداب منها:

1- طهارة القلب وإخلاص النية.
2- طهارة البدن والجوارح
3- حسن الالتزام بكتاب الله تعالى.
4- احترام جهود العلماء قبله.
5- أن يعرض رأيه بتواضع يليق بأهل العلم.
6- في الآيات التي تحتمل وجوها يستخدم ألفاظ تفيد الاحتمال أو الرجحان، مثل: ربما، ولعل، والأجدر، وقد يكون المراد كذا... ولا يقطع بوجه واحد ويرفض باقي الوجوه.
7- أن يستعين بأهل العلم المعاصرين له فيما يشكل عليه.
8- حبذا أن يتوجه إلى الله بالدعاء عندما تعسر عليه مشكلة.
9- أن يراجع ما كتبه مرات عديدة، ويعرضه على أهل الاختصاص، قبل أن ينشر تفسيره بين الناس.
10- أن يستعين بوسائل التكنولوجيا المعاصرة، وبالرسومات أو المخططات التي تساعد القارئ على فهم المراد، من دون أن يتعالى على القارئ، بل يستخدم عبارات مهذبة.

هذه بعض الآداب ننصح بها وهي خليقة بطلاب العلم جميعاً، وفي مقدمتهم أهل التفسير.

ثالثاً: ضوابط في استخدام مصطلح الإعجاز

أ- الإعجاز البياني هو الأصل

فهو شامل لكل سورة ولكل آية ولكل حرف من كتاب الله تعالى، وهو المعول عليه في تحدي العرب، لأنهم أرباب صناعة البيان، وأما الإعجاز الغيبي أو التشريعي أو العلمي فهو في الآيات التي تنص عليه، وليس شاملاً كالإعجاز البياني، ونحن نستفيد

---

60 - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، (رسالة الخطابي) تحقيق محمد خلف الله وزميله، ص (27).

61 - انظر كتاب: (فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر) لنعيم الحمصي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من جميع وجوه الإعجاز في إثبات صدق الرسالة، ولكن لا بد من ترتيب هذه الوجوه بحسب أهميتها، والإعجاز البياني له الصدارة دائماً.

ب- هناك إعجاز خاص بشريحة إنسانية معينة

قد تكون بعض المعلومات غائبة عن العرب في عصر الرسالة، ولكنها معروفة لدى أهل الكتاب والأمم الأخرى، من ذلك أخبار الأنبياء السابقين كقصة يوسف عليه السلام، فعدم معرفة العرب بها، ومجيؤها بالقرآن يعتبر معجزاً، وأما أهل الكتاب فهم يعرفون القصة، فهي معجزة بالنسبة لهم بما فيها من تفاصيل دقيقة، وتصحيح لأمور كانت غائبة عنهم، وهي معجزة بالنسبة لهم أيضاً لأنها جاءت من رجل أمي لم يدرس على أحد، وليست معجزة من حيث أنه أخبرهم خبرا لم يدروا به من قبل، فهذا الوجه خاص بالعرب.

ت- إعجاز نسبي خاص به - صلى الله عليه وسلم -.

وذلك يتعلق ببعض خصوصيات الرسول - صلى الله عليه وسلم - مثل قوله تعالى: (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) (سورة الأحزاب، الآية37)فهذا يكشف العالم الداخلي للنفس المحمدية، ولذلك قالت عائشة: "لو كتم محمد - صلى الله عليه وسلم - شيئاً مما أوحي إليه من كتاب الله تعالى لكتم (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ)".[62]

ومن هذا الباب توجيهات الرسول - صلى الله عليه وسلم - بشأن كثير من القضايا الاجتماعية والإنسانية والطبية وغيرها، فقد يوافق بعض ذلك ما لدى الأمم الأخرى التي لديها علوم وتجارب ليست لدى العرب، فإذا ذكرت لهم ما قاله النبي - صلى الله عليه وسلم - في أمر ما يوافق ما عندهم لم يكن هذا معجزا لديهم، وإنما يكون معجزا من باب أن رجلا أميا أرشد إليه دون سابق بحث ودراسة، فليس ثمة طريق توصله إلى هذا العلم إلا الوحي، وهذا هو الإعجاز.

ث- إعجاز خاص بسبب نقص المعرفة الإنسانية في عصر الوحي

وذلك كالإشارة إلى نقص لأكسجين في طبقات الجو العليا، قال تعالى: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) (سورة الأنعام: الآية125) فلو قال باحث - اليوم - :إن الأكسجين ينقص في طبقات الجو العليا لم يكن

---

[62] - مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني، (/983).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قوله معجزاً، ولكن أن تأتي آية وتشير إلى هذا الأمر قبل (1450) سنة، فهذه معلومة معجزة، لأن أهل زمان الوحي لم يكونوا يعرفون هذه المعلومة.

ج- إعجاز الخلق والقدرة غير إعجاز الكتاب

في القرآن الكريم أشار الله عز وجل إلى دلائل قدرته المعجزة في خلق الكون والموجودات جميعاً، وهذا نسميه إعجاز الخلق، مثل: (وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا، وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا، وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا) (سورة النبأ: الآيات 8-11). فقصة الزوجية في الخلق، والنوم للراحة، والستر في الليل، والانتشار في النهار لطلب الرزق: قضايا معروفة للمخاطبين، وقد أراد الله بذكرها أن يدلل على قدرته ونعمه على عباده، وهي أمور معجزة في خلقها وتقديرها، وهذا يختلف عن الإعجاز العلمي في القرآن، لأن الإعجاز العلمي هو الإخبار عن حقيقة علمية لم تكن معروفة في عصر الرسالة، وقد أثبتها العلم التجريبي الآن، وكثير من الباحثين يخلطون بين إعجاز القدرة والإعجاز العلمي، وهذا قصور علمي في فهم المصطلحات العلمية وحسن استخدامها، وينبغي التحرز منه.

ح- من شروط الإعجاز العلمي المجيء بنظريات مبتكرة

ونعني بذلك أن يشير القرآن إلى حقيقة علمية غير مكتشفة في عصر الرسالة، ولذلك لا يعتبر حديثه عن نعم الله مثل العسل في الإعجاز العلمي، قال تعالى: (يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) (سورة النحل: الآية 69). فالعرب والعجم يعرفون فضل العسل وقدراته العلاجية من قديم الدهر.

وكذلك الحديث عن لحم السمك الطري، واستخراج الحلى من البحر، وجريان السفن فيه، كل هذا من آثار قدرة الله، وليس إعجازاً علمياً، قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (سورة النحل: الآية14).

ونحو ذلك: استخراج اللؤلؤ من البحار، وسير السفن فيه، قال تعالى: (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ، فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) (سورة الرحمن: الآيات22-24)... فهذا وأضرابه ليس من الإعجاز العلمي في شيء، لأن هذه أشياء كان الناس يعرفونها في عصر الرسالة، ويمارسونها في حياتهم من أقدم الدهور.

خ- الإعجاز في السنة جزئي وليس شاملاً

في السنة إعجاز تشريعي وإنباء بالغيوب وإعجاز علمي، ولكنها ليست معجزة بيانياً، ولا متحدى بها، والإعجاز قائم في بعض الأحاديث وليس في جميعها، ولذلك ينبغي أن نقول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إعجاز في السنة، وليس إعجاز السنة، اللهم إلا أن نقول إعجاز السنة من باب إطلاق العام وإرادة الخاص، أي بعض أحاديث السنة فيها إعجاز، وليست كلها معجزة، وذلك لتمييز ما فيها من الإعجاز عن القرآن الكريم، ونؤكد أن هنالك إعجازاً علميا وغيبيا في السنة ولكن الإعجاز البياني مقصور على القرآن، والتحدي قائم بالقرآن فقط، ولعمري لو كان بيانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ معجزا لكان مثل القرآن، وهو ما لم يقله عليه الصلاة والسلام، ولم يدع هذا أحد من السلف، مع إقرارنا أنه عليه الصلاة والسلام أفصح من نطق بالضاد وأوتي جوامع الكلم، ولكن هذا لا يعني أن بيانه معجز مثل القرآن.

إن البيان النبوي أعظم من بيان البشر ودون بيان القرآن، ولكن لم يقل أحد إن البيان النبوي معجز، وكثير من المعاصرين يخلطون بين إعجاز القرآن والسنة، وكأنهما على قدر واحد من الإعجاز، وهذا سوء فهم للكتاب والسنة وقدر كل واحد منهما، وحسبنا الله ونعم الوكيل!.

رابعاً: بعض ضوابط الإعجاز العلمي

أ- **الحقيقة العلمية هي التي يؤيدها الدين**

على الباحث أن يكون على ثقة بكتاب الله عز وجل ابتداءا، وأن العلم تابع للقران والسنة، وإذا تناقضت النظرية العلمية مع الدين ـ مثل نظرية دارون ـ فالذي يسقط هو النظرية وليس الدين، فالدين وحي ثابت، والعلم حقائق ونظريات متجددة، وبعض ما يقوله العلماء اليوم قد يتراجعون عنه غداً.

ب- **الالتزام بسياق النص**

لا يحق لدارس أن يخرج معاني الكلمة في الكتاب والسنة عن المتعارف عليه بين أهل اللغة، ويعطي اللفظ القرآني معنى من عنده.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ت- **التأكد من صحة الحديث النبوي**

ينبغي التأكد من صحة الحديث النبوي الشريف الذي يوافق الحقيقة العلمية، إلا إذا توافقت الحقيقة العلمية مع الحديث الضعيف، فلا مانع من الأخذ به.

ث-**أن يكون العمل مؤسسيا وليس فرديا**

نحن في عصر العلم والبحث العلمي والمؤسسات العلمية، لذا ينبغي على الجامعات والمعاهد العلمية أن تقيم أقساماً ومؤسسات خاصة لدراسة الإعجاز في الكتاب والسنة، شأن الإعجاز في هذا الموضوع شأن أي ميدان علمي آخر تكون له فرق بحث علمية متخصصة، وحري بالكتاب والسنة أن يكون لهما من فرق البحث والعمل ما يضيء جوانب الإعجاز فيهما، وذلك خروجا من الجهود الفردية التي غالباً ما تكون مكررة ويعتريها الأخطاء والنقص وعدم شمولية المنهج.

إن الجهود الفردية مشكورة، وقد سدت ثغرة في هذا الباب، ولكن حان الوقت بأن نبدأ فتح باب البحث المؤسسي، وذلك بما يتناسب مع قدسية كتاب الله تعالى وجلال الحديث النبوي الشريف.

اللهم وفقنا لما تحب وترضى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المصادر والمراجع

- أبجد العلوم، للقنوجي، تحقيق عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م.
- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، شركة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الرابعة
- الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان.
- أطلس العالم ، مكتبة الصغار، بيروت.
- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، تحقيق عصام حرستاني ومحمد إبراهيم الزعلي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1413/ 1993م.
- الإيمان بالملائكة، عبد الله سراج الدين.
- البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الرابعة، 1395هـ المعرفة /1975م.
- بهجة ، موسوعة علمية مصورة دار المختار، سويسرا.
- تاريخ الأدب العربي (2) العصر الإسلامي، دار المعارف، الطبعة 16.
- تفسير البيضاوي، دار الفكر، بيروت.
- تفسير القرطبي، دار الشعب، القاهرة.
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972م.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، (رسالة بيان إعجاز القرآن للخطابي) تحقيق محمد خلف الله، والدكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1387هـ/1968م.
- الجامع الصغير، للسيوطي، نشر دار الفكر.
- ديوان نشيدنا، دار السلام، القاهرة، الطبعة الرابعة.
- روح المعاني، للألوسي، دار الفكر، بيروت، 1398هـ/ 1978م.
- السيرة النبوية لابن هشام، قدم لها طه عبد الرءوف سعد، دار الفكر، بيروت، 1409هـ/ 1989م.
- شرح القصائد العشر، للتبريزي، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الرابعة، 1400هـ/1980م.
- صفوة التفاسير، للصابوني، دار الصابوني، القاهرة، الطبعة التاسعة.
- العقيدة والمعرفة، زيغريد هونكة، ترجمة عمر لطفي سالم، دار قتيبة، الطبعة الأولى، 1407هـ/1987م.
- فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، لنعيم الحمصي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1400هـ/1981م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للسيوطي، نشر دار الفكر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وضوابط التعامل معها، د. زغلول النجار، دار نهضة مصر، ط2، 2006م.
- الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، دار المعارف، الطبعة الرابعة، 1977م.
- الكشاف للزمخشري، تصحيح مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1406هـ/ 1986م.
- مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي. (مصورة عن الطبعة الأولى).
- مختارات البارودي، مشروع المكتبة الجامعة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1404هـ/1984م.
- مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة السابعة، 1402هـ/ 1981م.
- المستطرف، للأبشيهي، مكتبة الحياة.
- مشكاة المصابيح للتبريزي، تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثالثة، 1405هـ/1985م.
- مع الله في السماء ، د. أحمد زكي.
- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، 1984م.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1399هـ/1979م.
- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
- الموسوعة الفلكية، أ. فايجرت، هـ. تسمرمان، ترجمة أ.د. عبد القوي عياد، و أ. د. محمد جمال الدين الفندي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
- الموشح ،تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفهـــــــرس

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة
المقدمة	
المبحث الأول: الإعجاز الحضاري في القرآن الكريم	
المبحث الثاني:نظرية العكس في إثبات الإعجاز	
المبحث الثالث: من خصائص البلد الأمين، معجزة المكان مكملة لمعجزة الزمان والرسالة والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .	
المبحث الرابع:المجرات تشهد بعظمة الخالق، صور من الإعجاز العلمـــــي	
المبحث الخامس:كروية الأرض حقيقة علمية أشار إليها القرآن الكريم، وأكدها العلماء المسلمون في بحوثهم الجغرافية	
المبحث السادس: ضوابط هامة في دراسة إعجاز القرآن الكريم	
المصادر والمراجع	